الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيـارت

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

التخصص: أدب حديث ومعاصر

مذكرة تخرج لنيل شهادة المـاستـــر الموسومة بـ:

سخرية الخطاب الشعري عند المتنبي

إعداد الطالبتين:

- حري نجاة
- حساني حنان

إشراف الأستـاذ:

د. بوعزيزة علي

أعضاء لجنـة المناقشـة:

د. يوسفي يوسفي	**رئيسـا**
د. بوعزيزة علي	**مشرفـا ومقررا**
د. معاشو قرور	**عضوا مناقشـا**

الموسم الجامعي: 1440هـ/1441هـ/- 2019م/2020م

شكر وتقدير

أرى لزاما علي تسجيل الشكر

وإعلامه و نسبة الفضل لأصحابه، استجابة لقول النبي ﷺ : **«من لم يشكر الناس لم يشكر الله».**

و كما قيل :

علامة شكر المرء إعلان حمـده فمن كتم المعروف منهم فما شكر

فالشكر أولا لله عز و جل على أن هداني لسلوك طريق البحث و التشبه بأهل العلم و إن كان بيني و بينهم مفاوز.

كما أخص بالشكر أستاذي الكريم و معلمي الفاضل المشرف على هذا البحث الدكتور **بوعزيزة علي** ، فقد كان حريصا على قراءة كل ما أكتب ثم يوجهني إلى ما يرى بأرق عبارة و ألطف إشارة، فله مني وافر الثناء و خالص الدعاء.

كما أشكر السادة الأساتذة و كل الزملاء و كل من قدم لي فائدة أو أعانني بمرجع

أخص بالذكر طالب دكتوراه : أوشن بلال

أسأل الله أن يجزيهم عني خيرا وأن يجعل عملهم في ميزان حسناتهم.

إهداء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين

أهدي هذا العمل إلى من ربتني وأنارت دربي وأعانتني بالدعوات ،إلى أغلى إنسان في هذا الوجود أمي الحبيبة وإلى روح والدي الطاهرة رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه إلى أهلي وعشيرتي ..... إلى أساتذتي .....

إلى زملائي وزميلاتي.

إلى أخي الغالي وأخواتي الكريمات وأولاد أختي أنيس ورنيم

إلى الشموع التي تحترق لتضئ للآخرين.....

إلى كل من علمني حرفا

أهدي هذا البحث المتواضع راجية من المولى عز وجل

أن يجد القبول والنجاح.

إهداء

إلى من علمني النجاح والصبر ..... إلى من افتقده في مواجهة الصعاب

ولم تمهله الدنيا لأرتوي من حنانه.. أبي

وإلى من تتسابق الكلمات لتخرج معبرة عن مكنون ذاتها

من علمتني وعانت الصعاب لأصل إلى ما أنا فيه

وعندما تكسوني الهموم أسبح في بحر حنانها ليخفف

من آلامي أمي .....إلى أمي وأبي

إلى أهلي ..... إلى أساتذتي ..... إلى زملائي وزميلاتي

إلى الشموع التي تحترق لتضئ للآخرين .....إلى كل من علمني حرفا

أهدي هذا البحث المتواضع راجية من المولى عز وجل

أن يجد القبول والنجاح.

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، الذي سخر لنا سبيل الهداية والعلم نحمده حمدا كثيرا ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، ونصلي ونسلم على حبيبنا المصطفى محمد خير البرية أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

تقف السخرية على رأس الأساليب الفنية التي تتطلب التلاعب بمقاييس الأشياء تضخيما أو تهوينا تطويلا أو تقزيما وهذا التلاعب يبطن نقدا لاذعا في بناء جو من الفكاهة والإمتاع غير أن أساليب السخرية تختلف من عصر إلى عصر وتتفاوت من كاتب لأخر.

فالسُّخرية سلاح يمكن أن يستخدمه الشاعر في الهجوم والدفاع، على حدٍّ سواء، عن المواقف والآراء الاجتماعية والوطنية والأدبية، إنها فنّ من فنون القول تحتاج إلى فطنة وذكاء، بحيث يستطيع صاحبها اصطياد المفارقة التي تثير الضحك، سواء أكان ذلك عن طريق النكتة الشفوية أو الكاريكاتير أو القصّة الساخرة.

إن السخرية في ذاتها لا تعني الضحك كمتعة فنية فحسب بل هي كوميديا تعكس أوجاع المواطن السياسية والاجتماعية وحتى الثقافية، فيقدمها الكاتب ويطرحها بقالب ساخر يرسم على الوجه بسمة ويضع في القلب خنجرا ويشمل الأدب الساخر كافة أنواع الإبداع الذي يطرح موضوعاته بسخرية وأن يحول الألم إلى بسمة ويصنع من الحزن إبداعا فالكاتب الساخر لا بد أن يركز على قضية مهموم بها يريد أن يصل إليها.

حيث تكمن أهمية هذا الموضوع في أن السخرية في الأدب فن ينتج عن ألم دفين وكرب خفي يلجأ إليه ليداوي ألمه بالضد ومن هنا كان الألم الذي يشعر به الأديب أو الشاعر هو الدافع إلى هذا الأسلوب الساخر الذي يصنع من شأنه تغيير نمط الحياة بأكملها لتقف على أسس صحيحة ترتقي بها وتأخذنا إلى أفاق بعيدة.

ويعد الأدب العربي بمختلف أنواعه وفنونه الأداة القيمة للتعبير والتفاهم وإيصال المعارف العلمية للناس،كما أنه مرآة للشعوب ومستودع الثقافات، وقد جسدت السخرية ذاتها على الأنواع الأدبية من قصة ورواية ومسرحية وشعر فمثلت بذلك طريقا للتعبير عن الجوانب المختلفة من الحياة

بلغة يمتزجها الضحك الناتج عن الألم فسمت لتصبح نوعا من أنواع اللغة الأدبية المستخدمة في الأدب سواء نظما أو شعرا، وبذلك كان موضوع بحثنا هو "سخرية الخطاب الشعري عند المتنبي إذ أن الشاعر يتميز بمكانة مرموقة في الشعر العربي، فهو أميرهم بلا منازع فلم تعرف العربية شاعرا أشرعت الأقلام للكتابة عن شعره كالمتنبي، ولم يثر شاعر حسادا ومناوئين ونقادا ومعجبين، في عصره وما بعد عصره، كما فعل المتنبي. ولم يحظ شاعر من الاهتمام والدراسة بحياته ونبوغه الشعري بقدر ما حظي المتنبي ينام ملء جفونه عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم، هو الذي نظر الأعمى إلى أدبه وأسمعت كلماته من به صمم، بل ما الدهر إلا من رواة قصائده.

ولعل أبرز الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع هو أولا كونه من المواضيع الشيقة والحساسة في الوقت نفسه في المجتمع العربي، ورغبة منا في دراسة شعر أبي الطيب المتنبي الذي لا يخلو من السخرية فنجده يمزج السخرية بالحزن والواقع الذي يعيشه، وكذلك من بين الأسباب براعة الشاعر في توظيف النصوص الساخرة في شعره ما جعلنا منكبين على دراسة أشعاره، وبذلك حاولنا رصد ظاهرة السخرية عند أحد أبرز شعراء العربية، وقد أثار هذا الموضوع عدة تساؤلات تولدت للذهن لعل أهمها: ما مفهوم السخرية ؟ وهل هي جديد مبتكر أم عرفها الأدب العربي من قبل؟ وما تجليات المضامين الساخرة في شعر أبي الطيب المتنبي؟.

ولإثراء هذا الموضوع والإجابة على هذه التساؤلات قسمنا البحث إلى مدخل وفصلين أساسيين وخاتمة وملحق، وقد تطرقنا في المدخل إلى مفهوم الخطاب الشعري في اللغة والاصطلاح، أما الفصل الأول فعنوناه بالسخرية في الأدب العربي وقد تطرقنا فيه إلى مفهوم السخرية وأسبابها ومصطلحاتها وأساليبها.وكذلك الفئات الأدبية المعروفة فكان أولها السخرية في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي، وثانيها السخرية في العصر العباسي.

أما الفصل الثاني فتمحور حول تجليات المضامين الساخرة في شعر أبي الطيب المتنبي وقد اقتصرنا فيه على الموضوعات السياسية والشخصية والاجتماعية.

كما إتكأنا في السير بين معالم هذا البحث على المنهج التاريخي التحليلي الذي يتلائم وكيفية طرحه باعتبار أنه تم البحث في تاريخ تطور السخرية عبر العصور الأدبية وكذلك تحليل مقطوعات المتنبي الشعرية. كما اعتمدنا على بعض المصادر والمراجع وقد كانت قلة المصادر التي تتناول موضوع السخرية بالدراسة والتحليل من أهم الصعوبات التي إعترضتنا في تحضير البحث.

وعليه فإن هذا العمل المتواضع لا يمثل سوى قطرة من بحر العلم ولا يلم بكل جوانب الموضوع، لذلك يبقى المجال مفتوحا لزملائنا من بعدنا لدراسته والخوض فيه لإثراء المكتبة الجامعية بمزيد من الدراسات في مجال سخرية الخطاب الشعري سواء عند المتنبي الذي يبقى شاعرا عظيما لا ينبض معينه ولا يجف منبعه أو عند شعراء آخرين.

وفي الأخير نتقدم بالشكر للأستاذ المشرف " بوعزيزة علي " على صبره وتحمله مشاق هذا البحث فكان خير ناصح وموجه، كما نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الذين تجشموا عناء قراءة هذا البحث، هذا جهدنا فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا وحسبنا أن لنا اجر المجتهد والله ولي التوفيق.

تيارت في: 2020/11/06

حري نجاة

حساني حنان

مدخـــل:

ماهية الخطاب الشعري

ماهية الخطاب:

لغـــة:

ورد في لسان العرب لابن منظور في مادة (خ/ط/ب) أن "الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان والمخاطبة صيغة مبالغة تفيد الاشتراك والمشاركة في فعل ذي شأن. التهذيب: قال بعض المفسرين في قوله تعالى: "وفصل الخطاب".[1]

قال:هو الحكم أو ضده وقيل فصل الخطاب الفقه في القضايا خطبا (خطب)الشأن أو الأمر صفر أو عظم وقيل هو سبب الأمر وقالوا ما خطبك،ما أمرك،أي أمرك وتقولوا هذا خطب جليل والخطب الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن والحال خطب فلان إلى فلان أو أخطبه، أي أجابه والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان وخطب الخاطب على المنبر اختطب يخطب، خطابة، اسم الكلام، الخطبة.

وهو مقطع كلامي يحمل معلومات يريد المرسل (المتكلم أو الكاتب) أن ينقلها إلى المرسل إليه (السامع أو القارئ) أو يكتب الأول رسالة ويفهمها الأخر بناء على نظام لغوي مشترك بينهما.

وجاء في معجم الوسيط: خاطبه، مخاطبة، وخطابا، كلمة وحادثة وخاطبه وجه إليه كلاما، والخطاب الكلام[2].

وفي معجم المصطلحات العربية: الخطاب، الرسالة letter، نص مكتوب ينقل من مرسل إلى مرسل إليه،يتضمن عادة أنباء لا تخص سواهما ثم انتقل مفهوم الرسالة من مجرد كتابات شخصية إلى جنس أدبي قريب من المقال في الآداب الغربية –سواء أكتب نظما أم نثرا– أو من المقامة في الأدب العربي[3].

ومن خلال هذه التعريفات إن الخطاب يعني الحديث أو الكلام الموجه من شخص لأخر بغرض التواصل.

---

[1]– ابن منظور: لسان العرب، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1989م، ص349-361.

[2]– إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج1، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، ص243.

[3]– مجدي وهيبة: كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط1، 1989م، ص90.

اصطلاحا:

ويعرف عدة تعريفات عند الغرب:

يرى الفرنسي"إميل بنفست بأن الخطاب هو "الملفوظ منظور إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل، وبمعنى أخر هو كل تلفظ يفرض متكلما ومستمعا، وعند الأول هدف التأثير في الثاني بطريقة ما.[1]

وفي هذا فإن إميل بنفست يؤسس لهذا المنظور من خلال رؤيته للغة بوصفها نظاما منفردا أو طاقة مخزونة في ذهن الإنسان وهي لا تتحول إلى كلام حقيقي، ولا إلى نص أو خطاب إلا من خلال عملية التلفظ أو التحدث ذاتها ويعرفه باتريك شارودو.

يؤكد باتريك شارودو على أن الخطاب يتكون من ملفوظ وموقف تواصلي[2].

ملفوظ +موقف تواصلي = خطاب.

ومن خلال هذه التعريفات يتضح لنا جليا أن الخطاب يعد بنية مركبة من نص وإلقاء (سياق) فبهذين الشيئين الأساسيين يتكون الخطاب وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك العديد من الخطابات وتختلف باختلاف الموضوع والموقف أما غريماس فيعطي معاني أخرى للخطاب مما يجعل منه مرادفا للنص مستندا في ذلك إلى أن بعض اللغات الأوروبية الفرنسية[3] والإنجليزية تتوفر على لفظ يقابل لفظي discourse ويشير إلى أن الخطاب والنص يستعملان لدلالة على ممارسات خطابية غير لغوية كالأفلام والطقوس والقصص المرسومة[4].

ويعرفه **هاريس** «إنه ملفوظ طويل أو هو متتالية من الجمل تتكون من مجموعة متعلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال

[1]- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1489هـ، ص17.

[2]- خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات العامة، دار هومة، الجزائر، 2000م، ص17.

[3]- المرجع نفسه، ص58

[4]- نفسه، ص 58.

لساني محض»[1]، ويظهر من هذا التعريف التسوية بين المنطوق والمكتوب طال أم قصر شكله جملة واحدة أو عدة جمل، أما العناصر والمنهجية اللسانية فهي من صميم اختصاصه أما عند العرب: «الخطاب جسم عجيب زئبقي يشبه السمكة في البحر عبثا تحاول إمساكه باليد»[2]، ويعرفه أيضا بأنه:

"جسم يتقلب من كل شيء من المنهج ومن الناقد كما أنه يتقلب حتى من ذاته ومن السلطة والأنظمة الجامدة كي يؤسس عالمه المتميز والخطاب عنصر حركي نشط قام بوظيفة الأخلاق والتناقض ليؤكد وجوده"[3].

والواضح من هذين القولين على أن الخطاب ليس ثابتا بل هو متغير منطقي إلى آخر حسب الموضوع والمناسبة التي وضعت من أجله فهو ليس خاضعا حتى لسيطرة قانون بل هو الذي يخلق عالمه المتميز حتى يلمع به لوحده وقد أطلق لفظ "الخطاب" على جنس من الكلام، الذي يقع به التخاطب[4] (أي بين متخاطبين اثنين) سواء كان شفوي أو مكتوب[5].

وفي القرآن الكريم ورد لفظ (الخطاب) في مواضع متعددة بمعان مختلفة، كقوله تعالى: ﴿**رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا**﴾[6]، وهذه الآية تنطلق من أساسها من وضع اشتقاق واحد يعني إقناع المخاطب أو العجز عن الإجابة وقد تعددت وتضاربت الآراء والمواقف النقدية حول تحديد مفهوم الخطاب ونستعرض أهمها:

---

[1]- نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشعري والسردي، دار هومة للنشر والتوزيع الجزائر، د.ط، 1997م، ص18.

[2]- رابح بوحوش: المناهج النقدية وخصائص الخطاب السردي، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة الجزائر، د.ط، د.ت، ص75.

[3]- عصام خلف: مفهوم الخطاب في الدراسات الأدبية واللغوية المعاصرة، دار فرحة للنشر والتوزيع، مصر، د.ط، د.ت، ص7.

[4]- عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية مركبة لراوية زقاق المدق، سلسلة المعرفة ديوان المطبوعات الجامعية ابن عكنون، الجزائر، 1995، ص261.

[5]- المرجع نفسه، ص261.

[6]- سورة النبأ، الآية: 91.

عبد السلام المسدي الذي اعتبره كيان أفرزته علاقات معينة بموجبها التأمت أجزاؤه وقد تولد عن ذلك تيار يعرف الملفوظ الأدبي بكونه جهازا خاصا من القيم طالما أنه محيط ألسنتي مستقل بذاته وهو ما أقضى إلى القول بأن الأثر الأدبي بنيه ألسنية مع السياق المضموني تحاورا خاصا.[1]

أما جابر عصفور فيرى بأن الخطاب هو: الطريقة التي تشكل بها الجملة نظاما متتابعا تسهم به في نسق كلي متغير ومتحدد الخواص أو على نحو يمكن معه أن تتألف الجمل في خطاب بعينه لتشكل خطابا أوسع ينطوي على أكثر من نص مفرد، وقد يوصف الخطاب بأنه مساق العلاقات المتعينة التي تستخدم لتحقيق أغراض معينة[2]، فالخطاب في نظره يقوم على أساس التناسق والترابط لأداء غرض بعينه أو قد يطلق –الخطاب– على نص بعينه أو يكون شاملا لنصوص متعددة تربط بينهما علاقات زمانية أو مكانية أو فنية.

وهكذا فإن الخطاب هو قول يتألف من أجزاء لغوية متماسكة ومتناسقة تقوم بينها شبكة من العلاقات الدلالية والصوتية والصرفية تشكل مجتمعة وحدة لغوية كبيرة هي النص الأدبي.

وعند سعيد يقطين الخطاب هو الطريقة التي تقوم بها المادة الحكائية في الرواية قد تكون المادة الحكائية واحدة، لكن ما يتغير هو الخطاب في محاولة كتابتها ونظمها[3].

فنمط الخطاب يختلف من مبدع إلى آخر بحسب اتجاهه وموقفه حتى لو كان الموضوع المعالج واحد.

ماهية الشعر لغة:

عرفه ابن منظور في لسان العرب بقوله: والشعر منظوم القول غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية، وإن كان كل علم شعرا من حيث غلب الفقه على علم الشرع والعود على المندل والنجم على الثريا ومثل ذلك كثير، وقال الأزهري: الشعر القريض المحدد بعلامات لا يتجاوزها والجمع أشعار

[1]– عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط3، ص265.

[2]– جابر عصفور: عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو، دار الأفاق العربية، بغداد، 1985م، ص 265.

[3]– سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، ص07.

وقائله شاعر لأنه يشعر ما لا يشعره غيره أي يعلم[1] أما الزبيدي فقد اثبت أيضا نفس التعريف ولكنه أضاف قوله: «وعلل صاحب المفردات غلبته على المنظوم بكونه مشتملا على دقائق العرب وخفايا أسرارها ولطائفها قال شيخنا: وهذا القول هو الذي مال إليه أكثر أهل الأدب برقيه وكمال مناسبته»[2].

كما ورد مفهومه في معجم اللغة العربية المعاصرة: شعرَ، يشعر، شِعْرا، فهو شاعر، والمفعول مشعور، شعر الرجل قال الشعر.[3]

اصطلاحا

في نظر ابن سلام الجمحي الشعر فن له مظاهر جودته وإحسانه وأسباب ضعفه ورداءته وتوصل إلى أن الشعر"صناعة وثقافة... ليس لجودته صفة، وإنما هو شيء يقع في نفس عند المميز ويعرف الناقد عند المعاينة.[4]

وفحوى كلام ابن سلام الجمحي أن الشعر صناعة وتتم هذه الصناعة بالمزج بين المادة والشكل، أي المزج بين الألفاظ والمعاني والوزن من طرف الصانع "الشاعر"، كما يضيف عنصر الثقافة، رأى الإمام بالمعارف بمختلف أنواعها ويضيف أيضا أن الشعر مرتبط بالمشاعر، والعواطف ويكون متميزا عن بقية الفنون، أن يمتلك خصوصيات تمكن الناقد من التعرف عليه وتمييزه عن الدراسة والتحليل غير أن ما يعاب عليه، أنه لم يقدم تعريفا واضحا للشعر فنظرته كانت سطحية ذاتية.

[1]- ابن منظور: لسان العرب، ص410.

[2]- محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروسة من جواهر القاموس، جزء12، تحقيق مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، 1973م، ص178.

[3]- الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضلة،القاهرة، 2004م، ص109.

[4]- قاسم مومني: الشعر في القرن الرابع هجري، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1982م، ص184.

ابن طباطبة العلوي

يستهل بن طباطبة العلوي كتابه عيار الشعر بتعريفه للشعر فيقول: الشعر كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم بما خص به من النظم الذي إن عدل عن جهته هجته الأسماع، وفسد على الذوق ونظمه معلوم محدود فمن صح طبعه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن عن تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحذف به، حتى تعتبر معرفته المستفادة كالطبع الذي لا تكلف معه.[1]

ويتضح من هذا التعريف أن التباين بين الكلام المنظوم والمنثور يكمن في النظم الخاص بالنص الشعري، وابن طباطبة يتفق بذلك مع أولائك الذين جعلوا النظم شرطا من شروط الشعر، رغم اختلافهم في بعض التفاصيل كرتبة النظم بين أسس الشعر، بل حتى في مفهوم النظم، كما فعل عبد القاهر الجرجاني الذي يري أن النظم يتعلق بوجوب توخي معاني النحو.[2]

كما أنه في هذا التعريف يضع الوزن أساسا للشعر، فهو لا يضع في اختياره غير الشعر في ذاته باعتباره بنية لغوية قائمة على أساس الطبع والذوق[3].

فمن صح طبعه وذوقه في رأي بن طباطبة لا يحتاج إلى العروض، أما من فسد ذوقه فإنه لابد محتاج إلى معرفة العروض والحذف به، فقد أقام بن طباطبة من الذوق والطبع معيارا يضبط به النظم وتجدر الإشارة هنا أن مفهوم النظم لا يعني دائما إقامة الوزن الشعري، فغالبا ما ترد هذه الكلمة بمعنى حسن التأليف، فالحديث عن النظم لا يعني الشعر فقط بل النثر أيضا وهذا ما يؤكده الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، الذي تطرق فيه إلى الحديث عن أسرار النظم في الشعر والنثر[4].

فتحديد ماهية الشعر عند ابن طباطبة: تقوم بوجه خاص على التشكيل الخارجي على أساس التشكيل الخارجي والقيم الفنية الجمالية لنظم الشعر، وهو بذلك يتجاوز عنصر التخيل باعتباره

[1]- ابن طباطبة العلوي: عيار الشعر، تح: طه الحاجري ود.محمد زغلول سلام، شركة فن الطباعة مصر، 1956، ص09.

[2]- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، شرح وتحقيق محمد التنجي، دار الكتاب العربي بيروت، ط3، 1999، ص382.

[3]- رمضان الصباغ: في نقد الشعر العربي المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، (ب.ط)، (ب.س)، ص43.

[4]- جابر أحمد عصفور: مفهوم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص25.

العنصر المهم في العملية الإبداعية وفي خلق المعاني الجمالية عند الشاعر ويرى أن الشعر بنية لغوية منتظمة قائمة على أساس الطبع والذوق.

قدامة بن جعفر:

يعرف قدامة ابن جعفر الشعر واضعا جداله بأنه: قول موزون ومقفى يدل على معنى فقولنا "قول" دال على أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر وقولنا "موزون" يفصله مما ليس بموزون إذا كان من القول موزون وغير موزون، وقلنا "مقفى" فصل بين ما له من الكلام الموزون قواف وبين ما لا قوافي له ولا مقاطع، وقولنا "يدل" على معنى يفصل ما جرى من القول على قافية ووزن مع دلالة على معنى مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى فإنه لو أراد مزيد أن يعمل من ذلك شيئا على هذه الجهة لأمكنه وما تعذر عليه[1].

والمستقرئ في جل نظريات الشعر يجدها تصب في هذا المنحى الذي حدده الناقد ولا تحيد عن هذا الحد ومكون من أربعة عناصر: قول ووزن وقافية ومعنى، فلم يضف إلى هذه العناصر عنصرا خامسا مثلا وهذا التعريف ينسجم انسجاما تاما مع كينونة الشعر العربي، ذلك أن الشعر قول وهو دال على أصل الكلام (وهذا يفصله عما ليس بكلام) ويخصه باللغة البشرية تمييزا له عن لغة الحيوان، وهو موزون ليفصله عما ليس بموزون وهو مقفى يفصله عما لا قافية له ولا مقاطع، أما قوله أنه يدل على معنى فذلك بيانه عما لا معنى ولا دلالة له.

ومثلما فرق ابن طباطبة بين الشعر والنثر، نجد كذلك قدامة بن جعفر قد تطرق إلى نفس الشيء غير أن الأول حصره في النظم، بينما الثاني حصره في الجانب الموسيقي المتحقق في الوزن والقافية، دون النظر إلى البنية اللغوية وخصوصيتها[2].

ويتضح من خلال تعريفه أيضا أن الشعر والموسيقى عنده مثلا زمان فلا ينكر الشعر دون أن تستدعي ضمنيا موسيقاه، لأنه أكد على الظواهر الصوتية (الوزن والقافية) بنفس تأكيده على

[1]– قدامة ابن جعفر: نقد الشعر، تح: عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، (ب.ط)، (ب.س)، ص64.

[2]– رمضان الصباغ: في نقد الشعر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 47.

الظاهرة التعبيرية (اللفظ والمعنى) كما أنه عزّز مكانه الموسيقي في الشعر من خلال وصف الشعر أولا قبل كل شيء بالموزون والمقفى قبل وصفه بالدال على معنى فترتيب قدامة لعناصر الشعر لم يأتي من فراغ وإنما جاء من خلال معرفته بالشعر.

فحد الشعر عند قدامة بن جعفر هو: اللفظ الفصيح الصحيح المبني، السليم الترتيب الموزون السهل العروض، المقفى الفصيح القافية، الدال على معنى واضح من معاني الشعر المخصوصة وهي المدح والهجاء والمراثي والتشبيه، والوصف والغزل.[1]

والملفت للانتباه أن قدامة طرح قضية مفهوم الشعر بطريقة جديدة على الساحة الثقافية العربية ربما هذا يعود إلى تأثره بثقافات متنوعة منها الثقافة اليونانية، وهذا ما يؤكده مصطفى الجوزو بقوله: "قدامة قد تأثر بالمنطق اليوناني تأثيرا واضحا وذلك إذ جعل القول أو اللفظ جنسا للشعر والوزن والقافية والمعنى فصولا تحوزه من غير الموزون وغير المقفى والعاري من المعنى.[2]

كما تأثر أيضا بالثقافة الفارسية وهذا يؤكده فتحي أحمد عامر بقوله: أنه قارئ من طراز ممتاز وأنه أفاد من سابقيه...كما أفاد من معاصريه... ولم تقتصر إفادته على الآراء العربية فقط، ولكنه تجاوز ذلك إلى المحيط الفارسي.[3]

والجدير بالذكر في هذا المقام أن تعريف قدامة للشعر يعد المرجعية التي يستند عليها النقاد إذ تبنى هذا التعريف طائفة النقاد أبرزهم محمد بن حسن الحاتمي الذي كرر كلام قدامة على حد الشعر وعناصره الأربعة حيث يقول: "حدود الشعر أربعة وهي اللفظ والمعنى والوزن والقافية".[4]

وتبنى أبو هلال العسكري أيضا تعريف قدامة بقوله: الشعر كلام منسوج ولفظ منظوم.[5]

---

[1]- مصطفى الجوزو: نظريات الشعر عند العرب (الجاهلية والعصور الإسلامية)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1988م، ص198.

[2]- المرجع نفسه، ص198.

[3]- فتحي أحمد عامر: من قضايا التراث العربي منشأة المعارف بالإسكندرية، ب.ط، ب.ت، ص130.

[4]- إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة بيروت، لبنان، 1971م، ص256.

[5]- أبو هلال العسكري: الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم،المكتبة العصرية، بيروت، ب.ط، 1986م، ص60.

ماهية الخطاب الشعري:

إن الخطاب الشعري من الموضوعات التي تعددت حولها الآراء وتنوعت الدراسات في الوصول إلى جوهرها، وبالرغم من التعدد والاختلاف فإنها جميعا لا تتناقض ولا تتعارض، وإنما تتعاون وتتعاضد من أجل الوصول إلى غاية واحدة هي الغوص في عمق العمل الأدبي، وسير أغواره وتحديد خواصه.

والحقيقة الثانية أن العمل عامة، والخطاب الشعري خاصة، عالم مليء بالأسرار غامض الحدود وتلك خاصية طبيعية في كل أنواع الخطاب الأدبي والخطاب الشعري من المصطلحات الحديثة نسبيا التي أضيفت إلى معجم المصطلحات النقدية.[1]

فهو مصطلح أدبي نقدي، والمصطلح لا يولد فجأة ولا يأتي باجتهاد فردي، ولكنه يضل في تغير وتبدل، وتحول وتطور إلى أن يصل إلى الشيوع في وقت معين يكون المناخ الثقافي فيه قد تهيأ لهضمه، تمهيدا لرواجه بين أوساط المثقفين.

مفهوم الخطاب الشعري:

الخطاب الشعري نص مثقل بالرموز له أبعاد متعددة، يكتنز طاقات تعبيرية قادرة على إنتاج مدلولات يهمن عليها فعل الإيحاء، وقد أكد (بول فاليري) على أن الشعر لون من الرقص بالكلمات ونظام من الأفعال لها هدفها في حد ذاته وفعل ينزع إلى البقاء في ذاكرتنا لما يثيره من انفعالات على خلاف الكلام العادي الذي يذهب إلى التلاشي بمجرد تحقق الوظيفة الإبلاغية.[2]

وعلى حين يبقى النثر في أغلب تجلياته موصولا إلى مرجعه، فإن الخطاب الشعري غالبا ما يذهب إلى اتجاه مفارق للواقع بفعل اللغة التي يجعلها مادة أساسية في تشكيل عالمه مضيفا عليها

[1]- محمد صالح زكي أبو حميدة: الخطاب الشعري عند محمود درويش، دراسة أسلوبية كلية الآداب جامعة الأزهر، غزة، ب.ط، 2000، ص28.

[2]- حميد رضى: الخطاب الشعري من اللغوي إلى التشكيل البصري، مجلة فصول الهيئة المصرية للكتاب، مج 15، عدد 02، 1996، ص95.

حياة جديدة[1]، وقد عرفه إسماعيل عز الدين بقوله: "... إن الخطاب الشعري نوع معين من الخطاب يرتبط بالشعر بصفة خاصة، لكن فكرة الخطاب بطبيعتها من شأنها أن تغطي على الخصوصية الأخرى التي تنتمي إليها فإن لذلك الخطاب الشعري كيانه الخاص"[2].

لذا فإن الكيان هو الذي ميزه الكلام، فالخطاب الشعري لا يكتفي بترتيب الكلمات لأداء المعنى وإنما لابد أن يكون هناك تفاعل وترابط وتناسق بين الجمل يؤدي إلى تكثيف الدلالة من ناحية، والانسجام الصوتي من ناحية ثانية تلك الميزة التي لا يحققها الكلام العادي.[3]

أما عند العرب القدامى فالخطاب الشعري بنية لغوية فنية تقوم على الوزن والقافية ولا يمكن فهمها إلا بمعرفة عناصرها[4].

وبما أن النص الشعري فعل كلامي –بالأساس– فإنه يتجه إلى توظيف العلاقة اللغوية في مستوياتها المتعددة، الصوتية والمعجمية والتركيبية والرمزية وبهذا يغدو النص نسيج وحوار بين العلاقة والعلاقة وتصبح اللغة الأداة والجوهر، فهي أداة لتبليغ شأنها في ذلك شأن الكلام المألوف بيننا، أو الخطاب العلمي الذي من المفروض أن يفهم دون لبس ولكنها أيضا تتمتع بوظيفة في ذاتها بما تنتجه من تراكيب وصور وأخيلة[5].

فالشعر إذن خطاب متميز يضمر أكثر مما يصرح، يوحي يأبى بأن يفصح عن ظاهرة أو حقيقته للوهلة الأولى، بل تراه يمعن في التخفي والتحكم بالخداع وراء شعرية الكلمات[6]، فالخطاب الشعري لغة تتجاوز الوظيفة الإبلاغية إلى لغة تستثمر العلاقات اللغوية بمستوياتها المتعددة إلى إيجاد لغة تحقق التأثير الجمالي والنفسي عند المتلقي.

---

[1]– حميد رضى: الخطاب الشعري من اللغوي إلى التشكيل البصري، ص96.

[2]– محمد صالح زكي أبو حميدة: الخطاب الشعري عند محمود درويش، ص29.

[3]– المرجع نفسه، ص29.

[4]– محمد كواكبي: خصائص الخطاب الشعري في ديوان أبي فراس الحمداني، دار هومة، الجزائر، د.ط، 2003، ص39.

[5]– حميد رضى: الخطاب الشعري من اللغوي إلى التشكيل البصري، ص96.

[6]– المرجع نفسه، ص96.

الفصل الأول:

السخرية في الأدب بين الماهية والـــدواعـــي

تميز أدبنا العربي بالسخرية والدعابة والضحك والفكاهة حيث ارتبط مصطلح السخرية بألفاظ كثيرة تحمل مدلولاتها، فقد وردت لها معاني مختلفة ومتداخلة أحيانا أخرى، وهذا ما جعل التفريق بينهما صعبا،فتركنا المعنى العام يشمل السخرية والاستهزاء والهجاء والاستخفاف بدون تعريف واضح تقر به الأذهان.

تعريف السخرية:

وردت لفظة السخرية في العديد من معاجم اللغة بالعديد من التعريفات والاشتباكات، فقد جاء في لسان العرب (سَخَر): سَخَر منه وبه سَخرًا، وسَخراً ومَسخَراُ وسُخرًا بالضم، وسُخرةً وسَخري وسُخري وسُخرِية: هَزئ به... وقيل السُخري بالضم من التسخير والسخري بالكسر من الهزء.[1]

أما في معجم العين سخر: سخر منه وبه، أي استهزأ، والسخرية: مصدر في المعنيين جميعا وهو الس خري أيضا، ويكون نعتا كقولك: هم لك سخري وسخرية، مذكر ومؤنث من ذكر قال: سخري، ومن أنت قال: سخرية، والسخرة: الضحكة، وأما السخرة فما تسخرت من خادم ودابة بلا أجر ولا ثمن. تقول: هم لك سخرة وسخرية، قال الله عزوجل: ﴿**فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ**﴾[2]، أي سخرية، من تسخر الخول وما سواه، وسخرى في الاستهزاء، سخرت السفن: أطاعت وطاب لها السير، وأنشد: سواخر في سواء اليَم تحتفز وقد سخرها الله لخلقه تسخ يرا، وتسخرت دابة لفلان: ركبها بغير أجر[3].

[1]- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت مج4، ط 6، ص 352.

[2]- سورة المؤمنون: الآية: 110.

[3]- الخليل بن أحمد الفراهدي: كتاب العين، تح: د.عبد الحميد هداوي، ج 2، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ط1، 1424هـ-2003م، ص226.

فالسخرية بذلك قد وردت في القرآن الكريم في عدة مواضع، وهي جميعها بمعنى الإستهزاء والضحك من المسلمين، فقال عز وجل في محكم كتابه: ﴿**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾.[1]

قال أعشى باهلة:

إِنِي أَتَتني لِسان لا أسر بها من علو لا عجب منه ولا سخر

والتأنيث للكلمة، وكان قد أتاه خبر مقتل أخيه المنتشر وحكى أبو زيد: سخرت به، وهو أردأ اللغتين. وقال الأخفش: سخرت منه وسخرت به، وضحكت منه وضحكت به، وهزئت منه وهزئت به، كل ذلك يقال. والإسم السخرية والس خري والسخري، وقرئ بهما قوله تعالى: ﴿ليتَخذ بعضهم بعضا سخرياً﴾ وسخره تسخيرا: كلفه عملا بلا أجرة وكذلك سخره. والتسخير: التذليل.وسفن سواخر: إذا أطاعت وطاب لها الريح. وفلان سخرة: يتسخر في العمل. يقال خادمه سخرة، ورجل سخرة أيضا: يسخر منه، وسخرة بفتح الخاء: يسخر من الناس.[2]

اصطلاحا:

من الصعب تحديد معنى مصطلح السخرية تحديدا جامعا مانعا ،لذلك نجد أن هناك العديد من الأدباء والباحثين الذين تطرقوا لمفهوم السخرية من بينهم نعمان طه يقول بأنها: النقد الضاحك أو التجريح الهازئ ،وغرض الساخر هو النقد أولا والإضحاك ثانيا ،وهو تصوير الإنسان تصوي را مضحكا: إما بوضعه في صورة مضحكة بواسطة التشويه ،الذي لا يصل إلى حد الإيلام أو تكبير العيوب الجسمية أو العضوية أو الحركية أو العقلية أو ما فيه من عيوب حين سلوكه مع المجتمع، وكل ذلك بطريقة خاصة غير مباشرة.[3]

---

[1]- سورة الأنعام، الآية 10.

[2]- إسماعيل بن حماد الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط3، 1404هـ، 1984م، ص679.

[3]- نعمان محمد أمين طه: السخرية في الأدب العربي حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، دار التوفيقية للطباعة بالأزهر، مصر، ط1، 1398هـ،1978م، ص14.

وشهد مصطلح السخرية تطورا حقيقيا بارتباطه بالفلسفة ،حيث أشار له أرسطو إشارة عابرة في كتابه (الخطابة) إلى السخرية، وعدها شكلا من أشكال الفكاهة والضحك، ويقال إن النص الذي يحيل عليه للوصف الدقيق للسخرية قد فقد ضمن الجزء الثاني الضائع من كتاب فن الشعر الذي سقط ولم يصل إلينا، وأن في هذا الجزء آراء أرسطو المهمة حول الفكاهة والضحك.

وأرسطو هو صاحب نظرية التناقض ومفادها أن الضحك هو الاستجابة لإدراكنا لعدم الاتساق أو التناقض في الأقوال والأفعال، ومن هذا المنطلق فإن أرسطو يفضل الضحك لما ينطوي عليه من تناقض ومفارقة، حيث عالج الانفعالات المتناقضة بين الملهاة والمأساة، فالمأساة عنده تثير الخوف والشفقة، أما الملهاة فتثير مشاعر النقمة التي جعلها أرسطو نقيض للشفقة، غير أن هذا التناقض يتلاشى بين الملهاة والمأساة بفعل التطهير، حيث يتمثل التطهير في الملهاة بإثارة مشاعر الشفقة والفزع، بينما يكون في المأساة باستثارة عواطف البهجة والضحك.

ويحدد أرسطو وظيفة الشعر الهزلي من أجل التخلص من النقائص، والانتصار على الضعف والقصور، ولهذا فإن نظرية التناقض عنده تتجلى في إبراز العمل الكوميدي الذي يسعى للكشف عن تناقضات الواقع، كما أن الهزلي يكمن في عيب أو قبح.[1]

ومع ذلك فالسخرية ليست بالضرورة مثيرة للضحك، لأنها يمكن أن تكون مرة، خاصة عندما تهاجم الجانب المتجهم من المجتمع، وربما أثارت ابتسامة المتلقي، لكنها ابتسامة مريرة ساخرة من الأوضاع المقلوبة للمجتمع، وهذا ليس أمرا غريبا، فليست كل ابتسامة تعني السعادة والانشراح، وغالبا ما تحمل ابتسامة السخرية شحنات من الأسى والهم، تف وق في درجتها وكثافتها الشحنات الكامنة في البكاء والعويل ومع ذلك، فمثل هذه الابتسامة الساخرة المريرة تمنح صاحبها نفس الشعور بالتفوق والسيادة.[2]

[1]- سالم بن محمد بن سالم بالمؤمن: السخرية في الشعر الأموي،رسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة دكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب، جامعة الملك سعود، 2016، ص10-11.

[2]- نبيل راغب: الأدب الساخر، النسخة المطبوعة مكتبة الأسرة، ط1، 2000، ص21.

ويعرفها المازني بأنها: محاولة لطيفة مهذبة الغرض منها تطهير الحياة والمجتمع من الظواهر السلبية التي تجانب التطور وتناهض الحركة نحو المستقبل، فإذا ما وقعت على إحدى هذه الظواهر كالبلادة أو الخمول أو الغفلة، أو كل ما يهدد الحياة بالتوقف أو البطء، أو كل ما تحس أن فيه إعراضا عن الحياة أو عجزا عن التلاؤم معها، أخذت نفسها ضده، وجمعت أسلحتها لتنقض عليه إذا لم يكن لابد من أن تكون قاسية معه.[1]

فليس هناك ما يغني الحياة عن الوقوع في خطأ أشدا إلا باستخدام هذا الأسلوب النقدي المعبر البلي وهو السخرية.

أما (عبد الحليم حفني) فقد عرفها بقوله: «السخرية أسلوب أو سلاح عدائي مهما صغرت درجاتها أو كبرت»، ويتميز عن غيره من أساليب العداء بأنه مصبوغ بروح الفكاهة وأسلوبها، والمؤلف هنا يصدر حكما فيه بعض الشدة، فقد جعل السخرية مصدر اعتداء في كل حالاتها صغيرها وكبيرها.[2]

فهي سلاح خطير حين يستعملها الأديب في تحليل الأعمال الأدبية تصل به إلى حد تجريح وسحق الفنان، لذلك يستحسن أن تبقى حبيسة المجال الأدبي الذي يصبو إلى نقد البشر والظواهر الاجتماعية والإنسانية بشكل عام.[3]

واختلف الدارسون حول معنى السخرية فعرفها أحدهم بأنها طريقة من طرق التعبير، يستعمل فيها الشخص ألفاظا تقلب المعنى إلى عكس ما يقصده المتكلم حقيقة، وهي صورة من صور الفكاهة تعرض السلوك المعوج أو الأخطاء، التي إن فطن إليها وعرفها فنان موهوب تمام المعرفة، وأحسن عرضها، تكون حينئذ في يده سلاحا فتاكا.

وقال آخر: وهي طريقة في التهكم المرير، والتندر أو الهجاء الذي يظهر فيه المعنى بعكس ما يظنه الإنسان، وربما كانت أعظم صور البلاغة عنفا وإخافة وفتكا.

---

[1]- حامد عبد الهوال: السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982، ص30.

[2]- عبد الحليم حفني: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978، ص15.

[3]- نبيل راغب: الأدب الساخر، النسخة المطبوعة مكتبة الأسرة، ط1، 2000، ص14.

وقال ثالث: والسخرية سلاح شائع عند جميع الكتاب، والمؤلفون الكبار يأخذون أنفسهم بممارستها، وهي تظهر في شعر الملاحم وفي التراجيدى علاوة على الكوميدى، والخطباء يستمدون منها النبرات المؤثرة وكذلك تتخذ البلاغة منها سلاحا أشد فتكا لا يمكن إغفاله أو الاستهانة به، وتكون السخرية في بعض الأحيان سمة دالة على قمة اليأس.[1]

أما السخرية في مفهومها البلاغي العربي الحديث هي طريقة في الكلام يعبر بها الشخص عن عكس ما يقصده بالفعل، كقولك للبخيل "ما أكرمك" ومن صور السخرية أيضا التعبير عن تحسر الشخص على نفسه، كقول البائس "ما أسعدني"[2].

يلاحظ أن الغرض من السخرية يكون غالبا هجاءا مستورا أو توبيخا وإزدراءا مثال التوبيخ، قول أبي الأسود الدؤلي (65هـ):

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم ومثال الازدراء، قول المتنبي (354هـ):

لا تشتري العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس من أكيد.

دوافع وأسباب السخرية:

ظهرت السخرية في أدبنا العربي شعرا ونثرا منذ عصر ما قبل الإسلام بدوافع متعددة، وأسباب متباينة، كما تعددت أساليبها وصورها، وللوقوف على دوافع السخرية في الأدب العربي يجدر بنا أن نتناولها من جانبين:

-الجانب الذاتي: وهو ما يتعلق بنفسية الشاعر أو الأديب في جوانبها السلبية والإيجابية، في رضاه وغضبه، في حبه وبغضه، في صفائه وكدره.

-الجانب الموضوعي: ويشمل الظروف المختلفة التي تحيط بالشاعر أو الأديب من سياسية واجتماعية واقتصادية وفكرية، وهذه الظروف قد تحرك في الأديب والشاعر بواعث السخط أو الرضا،

[1]- نعمان محمد أمين طه: السخرية في الأدب العربي حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، دار التوفيقية للطباعة بالأزهر مصر، ط1، 1398هـ-1978م، ص14.

[2]- مجدي وهيبة: معجم مصطلحات اللغة والأدب، مكتبة لبنان ط2، 1984، ص198.

فيسخر منها ويتهكم، إذا كانت غير موافقة لهواه أو هوى الجماعة التي ينتمي إليها، فكرى أو نفسيا أو اجتماعيا أو سياسيا.[1]

وقد ترجع إلى عداوة بينه وبين الشخص الذي ينتقده لسبب من الأسباب التي تنجم عن الاحتكاك الدائم بين الناس لغرض الانتقام، كما أنها قد تكون بسبب تعالي شخص ناقص لا يحس ما فيه من نقص، فيضطر الأديب الساخر إلى أن يرده إلى صوابه أو إلى منطقه، كما يقول برجسون ويحاول حينذاك أن يبحث عن عيوبه فيضخمها ويكبرها، ويحمل منها بفنه أداة للضحك، وقد صدق أدلر Adler حينما قال: البغض والانتقام هما الشيطانان التوءمان اللذان يولدان السخرية.[2]

أما علماء النفس فقد درسوا السخرية، وحللوا طبيعتها وبواعثها ومردودها، وأثرها، بوصفها جزء من الطبيعة البشرية، فوجدوا أن (الابتسامة والضحك والمرح والفكاهة، والمزاح، والدعابة، والهزل، والنكتة، والملحة، والنادرة، والكوميدى) إن هي إلا ظواهر نفسية من فصيلة واحدة، وكلها تصدر عن تلك الطبيعة البشرية المتناقضة، التي سرعان ما تمل حياة الجد والصرامة والعبوس، فتلتمس في اللهو الترويح عن نفسها، وتبحث في الفكاهة عن منفذ للتنفيس عن آلامها.[3]

فأساس السخرية إذن هو إثارة الضحك، وهو غرض نفسي قد يكون دافعه الشعور بالانتصار المادي، أو المعنوي للآخر، بوصفه تعبيرا عن استعلاء وقتي يكشفه الشاعر الساخر في نفسه، عندما يتحقق هدفه أو يتفوق الساخر على الذي سخر منه.[4]

في حين أن بعض الشعراء يجعلون السخرية من الآخرين، سلاحا حادا لحصولهم على حقوقهم المستلبة –على الأقل على حد ظن الشاعر– كما هو الكثير من الشعراء، مثل: بشار بن برد والخطيئة وغيره، كما قد يتخذ الشاعر السخرية أسلوب لتعويض ما يفتقده من الجمال الظاهري أو الفقر

[1]– آصف دريباتي: السخرية في شعر نديم محمد، دار الجنان للنشر والتوزيع، 2016م، ص17.

[2]– نعمان محمد أمين طه: السخرية في الأدب العربي حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، دار التوفيقية للطباعة بالأزهر، مصر، ط1، 1398هـ-1978م، ص16.

[3]– عبد العزيز بشرى: السخرية في الأدب العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2002م، ص55.

[4]– آصف دريباتي: السخرية في شعر نديم محمد، دار الجنان للنشر والتوزيع، 2016م، ص17.

المادي أو المكانة الاجتماعية...ويرى البعض من الأدباء السخرية طريقة مناسبة لتنبيه الظالمين والأشرار والمتعجرفين دون أن يخاطروا بأنفسهم مباشرة[1].

علاقة السخرية بالمصطلحات المشابهة:

لأسباب مختلفة بقي مفهوم السخرية مفهوما غير مستقر مطاط وغامض، فهو لا يعني اليوم ما كان يعنيه في القرون السالفة. ولا يعني نفس الشيء من بلد إلى بلد، وهو في الشارع غيره في المكتبة، وغيره عند المؤرخ والناقد الأدبي، فيمكن أن يتفق ناقدان أدبيان اتفاقا كاملا في تقديرهما لعمل أدبي غير أن أحدهما قد يدعوه عملا "ساخرا" في حين يدعوه الثاني عملا "هجائيا"، أو حتّى عملا "هزليا" أو"فكاهيا" أو "مفارقا" أو "حوارى"أو"غامضا.[2]

أ-التهكم وعلاقته بالسخرية:

التهكم في الأصل: التهدم، يقال: تهكمت البئر إذا تهدمت، وتهكم عليه إذا أشتد غضبه، والمتهكمالمتكبر، يعتبر التهكم من أكثر المصطلحات ارتباطا بمفهوم السخرية فهو الإتيان بلفظ البشارة في موضع الإنذار، والوعد في مكان الوعيد ،والمدح في معرض الاستهزاء ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: "ذ ق إنك أنت العزيز الكريم"على سبيل التهكم، وقوله تعالى: ﴿**بشر المنافقين بأنَ لهم عذابا أليما**﴾ فالبشارة هنا تحمل المعنى العكسي أي الإنذار.[3]

كما يقصد به أيضا: ذكر أشياء أو أباطيل لا يعتقد به ا الشخص وفي نفس الوقت يتظاهر بالاعتقاد بأنها صحيحة ،أو يذكرها في معرض التعجب من وجودها ومن ثم الاستهزاء بها[4].

---

[1]- مقال عبد الكريم البوغيش: السخرية في شعر محمد الجواهري، جامعة الإسلامية فرع علوم وتحقيقات، طهران إيران، 2010م، ص2.

[2]- د. محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول ،مكتبة الأدب المغربي، إفريقيا الشرق، المغرب الدار البيضاء، ط2، 2012م، ص84.

[3]- ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، د.حسني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط1، 1963م، ص568.

[4]- نعمان محمد أمين طه: السخرية في الأدب العربي حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، ص 44.

وهناك من جعل التهكم هو السخرية والاستهزاء عينهما بقوله: «هو الاستهزاء والسخرية، وهو ما كان ظاهره جدا، وباطنه هزلا، وطريقته السؤال عن شيء مع إظهار الجهل به، وأن تلقي على محدثك -بعد التسليم بأقواله- أسئلة تثير الشكوك في نفسه حتّى إذا انتقل من قول إلى قول أدرك ما في موقفه من التناقض، واضطر إلى التسليم بجهله[1].

فالتهكم يشترك مع السخرية في كونهما يدلان على الهزء والتكبر والشعور بالأفضلية، أكثر من ذلك فهو يمثل أقصى درجات السخرية، إن المتهكم يسعى لتصوير المتهكم به في أبشع المظاهر التي يمكن أن نتصوره فيها، بالتالي فالتهكم تدمير للذات وكيانها وهو أقسى من السخرية وأمر منها بل وأشد وقعا على النفس.[2]

ومن طرائق التهكم والسخرية، فالشكل الغريب أو القبيح يوحيان بالتهكم والضحك، وهذه الطريقة كانت شائعة في الأدب العربي، كالتهكم من الأحدب ومنظره، في قول ابن الرومي:

قصرت أخادعه وطال قداله فكأنه متربص أن يصفع

كأنما صفعت قفاه مرة وأحس ثانية لها فتجمعا[3]

ب- الفكاهة وعلاقتها بالسخرية:

ترتبط الفكاهة في المعاجم العربية بالضحك والمزاح،يقال فكه الرجل فكها وفكاهة إذا كان طيب النفس مزاحا وتجيء صفتها على وزن فكه وفاكه كما يقال الرجل الفكه أو الرجل الفاكه يعني الرجل طيب النفس الذي يكثر من الدعابة ويأتي من تلك اللفظة الفكهة مرادف الفكاهة والفكيهان الضحاك.[4]

---

[1]- د.جميل صليبيا: المعجم الفلسفي،دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1982م، ص356.

[2]- سامية مشتوب: السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، إشراف: رشيد بن مالك، 2011م، ص10.

[3]- أصف درباتي، السخرية في شعر مدين محمد، دار الجينان للنشر والتوزيع، 2016، ص24.

[4]- مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية مصر، إشراف: إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية صوالحي، عطية خلف الله أحمد، 1425هـ.2004م.ص699.

إن السخرية تلتقي مع الفكاهة في المنبع الذي تنبعان منه، وقد تّتلط إحداهما بالأخرى كامتزاج رحبتي فاكهتين مختلفتين[1]، والسخرية كفكاهة تعتبر أرقى أنواع الفكاهة وإن احتوت جانب الضحك الذي هو أصل هذه الأنواع إلا أنها تحتاج إلى قدر كبير من الذكاء والخفاء والمكر لأنها كثيرا ما توحي بالجدية رغم ظاهرها الضاحك.[2]

ولكن كثير من الناس يخلطون بين هذين الوجهين ولا يكادون يفرقون بينهما، فالفكاهة وجه قائم على الإضحاك، إذ يروى عن أحد المفرطين في شرب الخمرة مثلا، أن قال له أحدهم إن الخمرة انتحار بطيء، فأجاب بسرعة ولماذا تريدونني أن أنتحر بسرعة ؟! أما السخرية، فهي وجه قائم على اللذع والإيلام، إذ يروى أن أحد الأمراء التقى يوما بغريب يشبهه تمام الشبه، فبادره بقوله: هل كانت أمك ى هذا تقيم في البلاط الملكي !؟ فأجاب الغريب ببديهته الحاضرة، كلا ى سيدي، بل أبي! ومن ذلك يتضح أن المنبع الذي تنبع منه السخرية هو الضحك، وغايتها الفكاهة اللاذعة.[3]

فالضحك قاسم مشترك بين السخرية والفكاهة، لكن ضحك الفكاهة هو هدفها وغايتها، وليسلها من غرض غيره، والباعث في ذلك هو الترويح عن النفس لا غير، فهي كما عرفنا سابقا مرادفة للمزاح والدعابة تبعث على الضحك الذي يدخل بدوره الانبساط في النفوس، أما ضحك السخرية فهو ضحك مر، شبيه بالبكاء، وهدف السخرية –كما عرفنا– هو الإصلاح والتقويم لنقائص ومتناقضات الأفراد والجماعات، فهي من هذا الجانب أرقى من الفكاهة، لأنها تحمل رؤى الأديب وخلاصة مواقفه الناقدة، وهو من خلال ذلك يطرد غيضه، وينفس عن كربه النفسية، لذلك فهو يحتاج إلى ذكاء كبير وخيال واسع لاقتناص الكلمات المناسبة، التي تعبر عن هدفه المقصود

[1]– نعمان محمد أمين طه: السخرية في الأدب العربي، دار التوفيقية للطباعة بالأزهر، مصر، ط1، 1398هـ،1978م، ص10.

[2]– حامد عبد الهوال: السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982، ص17.

[3]– نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي، ص 9.

«فأسلوب السخرية غير أسلوب الفكاهة، من حيث اختيار الكلمات، والمعاني المعبرة عن الهدف المقصود»[1].

ج- الهجاء وعلاقته بالسخرية:

يعرف الهجاء بأنه أدب غنائي يصور عاطفة الغضب أو الاحتقار والاستهزاء، ويكون موضوع العاطفة الفرد أو الجماعة أو الأخلاق أو المذاهب.[2]

ويمكننا القول: "إن الهجاء مع فظاظته وخشونته يحمل نوعا من السخرية، وعلى الرغم مما يبعثه أحيانا في نفس المهجو من الضيق، وتجسيمها والمبالغة في تصويرها إلى الدرجة التي تجعل المهجو غير ملائم للصورة الطبيعية التي يجب أن يكون عليها الكائن"[3] ومن خلال هذا نستنتج أن الهجاء يندرج ضمن فن السخرية لأن كليهما يبعث في نفس المهجو أو المسحور منه الضيق والألم، من خلال الإذلال والإهانة ولكن أحيانا أخرى قد يثير الهجاء الضحك من خلال المبالغة في تصويره عيوب الأشخاص.

كما تلتقي السخرية مع الهجاء وظيفيا، في التحقير والإزدراء، وكل ما يؤدي إلى إثارة مشاعر الغضب، والألم بالألفاظ اللاذعة، وتّتلف السخرية مع الهجاء من ناحية المادة التي تشتمل عليها كلمنهما، وذلك لأن الهجاء أسلوب مباشر في الهجوم على المهجو، إذ يتعمد الشاعر فيه ذكر (أضداد الفضائل على الحقيقية فجعلها فيهم ولأن الغدر ضد الوفاء والفجور ضد العفة، والبخل ضد الجود)[4].

---

[1]- خضرة ناصف: السخرية في النثر الأندلسي، رسالة التوابع والمواقع لأبن شهيد الأندلسي-أنموذجا-، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم.جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، إشراف مصطفى البشير قط، 2017م-2018م، ص 30.

[2]- محمد حسين: الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970م، ص15.

[3]- حامد عبد الهوال: السخرية في أدب المازني، ص17.

[4]- حافظ محمد الشمري: مواقف ودراسات نقدية في الأدب العربي قديما وحديثا، مركز الكتاب الأكاديمي ط1، 2016م، ص248.

ومن خلال هذا نستنتج أن الهجاء يندرج ضمن فن السخرية لأن كليهما يبعث في نفس المهجو أو المسخور منه الضيق والألم، من خلال الإذلال والإهانة، ولكن أحيانا أخرى قد يثير الهجاء الضحك من خلال المبالغة في تصويره عيوب الأشخاص.

والهجاء لا يرزق الذيوع والشهرة إلا إذا كان في أسلوبه لذع يعتمد على الذكاء والفتنة، فهو لا يؤدي فكرته أداءا مباشرا صريحا، ولكنه يشير إليها في حذق، ويلمح إليها في لباقة، ويسخر من فريسته مداعبا.

وابن الرومي من الهجائيين الممتازين باللباقة ويقظة النكتة، فمثل هذه الدعاية المضحكة والفكاهة الحلوة، التي هي خليقة أن تغرى الناس بالحرص على الشعر في قوله:

عشقنا قفا عمرو وإن كان وجهه يذكرنا قبح الخيانة والغدر في وجهه الهجر لا وصل بعده وأما قفاه فهو وصل بلا هجر[1].

من خلال ما سبق نستطيع القول أن السخرية لون من ألوان الهجاء والفرق بينهما أن الهجاء طريقة مباشرة في الهجوم لبيان العداء والاحتقار والانتقاض من الآخر، والسخرية غير مباشرة مهذبة وهادفة.

د- المفارقة وعلاقتها بالسخرية:

عرفها الدكتور خالد سليمان في كتابه المفارقة والأدب، المفارقة: هي إما أن يعبر المرء عن معناه بلغة توحي بما يناقض هذا المعنى أو يخالفه ولاسيما بأن يتظاهر لمرء بتبني وجهة نظر الآخر إذ يستخدم لهجة تدل على المدح ولكن يقصد السخرية أو التهكم، وإما هي حدوث حدث أو ظرف مرغوب فيه، ولكن في وقت غير مناسب البتة، كما لو كان في حدوثه في ذلك الوقت سخرية من

[1]- محمد حسين،الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، ص30.

فكرة سلامة الأشياء وإما هي استعمال اللغة بطريقة تحمل معنى باطنا موجها لجمهور خاص مميز، ومعنى آخر طاهرا موجها للأشخاص المخاطبين أو المعنيين بالأمر.[1]

ومنه قول النبي –صلى الله عليه وسلم– لعجوز سألته عن دخولها الجنة: فقال "لا يدخل الجنة عجوز "فالرسول هنا هو صانع المفارقة"، إذ قدم بنية لغوية تحتمل دلالتين. والعجوز التي بكت حين سمعت العبارة هي ضحية هذا النوع من المفارقة لأنها حملت العبارة على محمل الجد، واكتفت في تفسيرها بالبنية الدلالية السطحية، فاستقر في روعها أن لن تدخل الجنة باعتبار أنها عجوز، على أساس فهمها الحديث أي لن ندخل الجنة من كانت عجوزا في الدنيا أما المراقب أو القارئ الذي يقوم بإعادة إنتاج الدلالة في سياق من الهزل الذي يراد به الجد،فإنه سيصل إلى الدلالة الأبعد، وهي أن كل عجوز لابد وأن يعود شابا في الجنة وعليه فلا يدخل الجنة عجوزا وهذا القارئ سترتسم على شفتيه ابتسامة بدلا من البكاء كما حدث لضحية المفارقة.[2]

فقد تكون سلاحا للهجوم الساخر، وقد تكون أشبه بستار رقيق، يكشف عما وراءه من هزيمة الإنسان، وربما أدارت المقارنة ظهرها لعالمنا الواقعي وقلبته رأسا على عقب، وربما كانت المفارقة تهدف إلى إخراج أحشاء قلب الإنسان الضحية ليرى ما فيه من مناقضات وتضاربات تثير الضحك ومن أجل ذلك، كانت المفارقة أداة أسلوبية فعالة للتهكم والاستهزاء ويخرج من ذلك، الاستهزاء الذي تّلو صياغته اللغوية من مفارقة اللفظ للمعنى، بل يرد إلى أدوات لغوية أسلوبية أخرى، وهو ما نجده مثلا في قوله تعالى: ﴿ **أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا**﴾[3]، وقد جاء على لسان المشركين استهزاء بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.[4]

---

[1]– عبد التواب محمود عبد اللطيف: المفارقة في المسرح الشعري في مصر في الربع الأخير من القرن العشرين، المنهل، 2014، ص44.

[2] – نوال بن صالح: جماليات المفارقة في الشعر العربي المعاصر،دراسة نقدية في تجربة محمود رويش،المنهل، 2016م، ص31.

[3]– سورة الفرقان، الآية: 41.

[4]– حمد العبد: المفارقة القرآنية:دراسة في بنية الدلالة، ط1، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، 1415هـ-1994م ص15.

وهكذا، تنفجر السخرية، أحيانا، وليدة إحساس مر بعدم القدرة الإنسانية التي تّوننا، لنسقط ضحية ضعفنا، بل قوتنا: لو كان نخافو من النعاج ما نلبسوشي صوفها. وتلك قمة المفارقة وقمة السخرية، التي قال عنها موريي: "إن كل ما يمزق الإنسان، وكل تناقضاته ووعوده الصادقة غير الم وفاة ومثاليته المتضاربة مع سلوكه، تكون مصدرا للسخرية.."

تكون السخرية في المجتمع حين تسود عدالة الإنسان المقلوبة، وتكون في الذات الإنسانية حين تخون الإنسان ملكاته. والمفارقة إضافة إلى كونها الكلام الذي يقول شيئا ويعني غيره، ترتبط أيضا، حسب نبيلة إبراهيم، بالتظاهر بالبراءة أو السذاجة والغفلة.[1]

فالسخرية سلاح قوي من أسلحة المفارقة، وتدخل ضمن أنماطها التي تتصف بها، إذ يذهب البعض إلى اعتبار" التهكم والسخرية سلاحا فعالا من أسلحة المفارقة اللفظية، التي تدل عليها وتبشر بها، فالخطاب الساخر أرض خصبة لنمو المفارقات وتكاثرها".[2]

كما تعد السخرية والمفارقة من جنس واحد، لأن روحا واحدة هي التي تمدهما بالحياة، غير أن السخرية تعتمد على التضخيم والمفاجاة، وعلى الكلمة والحركة أكثر من غيرهما، لكن كليهما يصدر عن موقف نفسي واحد، حيث إن السخرية ترتكز على المفارقة، أو أن المفارقة هي أحد أشكال السخرية، مثلما أن المفارقة تتخذ شكلا أو أسلوبا لها، بمعنى: من الصعب أن تنفصل ذرات السخرية عن ذرات المفارقة لأنهما من طينة واحدة، ولعل تعريف المفارقة، يصلح تماما ليعرف السخرية، مما لا شك فيه أن هناك بعض حقب تاريخية تولد لغة المفارقة، فهذه اللغة وليدة موقف نفسي وعقلي وثقافي معين، وتعرف المفارقة بأنها إستراتيجية قول نقدي ساخر، وهي في الواقع تعبير عن موقف عدواني، ولكنه تعبير غير مباشر يقوم على التورية. والمفارقة هي طريقة لخداع الرقابة.

وأعتقد أن السخرية هي أدب العامة والخاصة. أما المفارقة فهي أدب الخاصة أكثر منها للعامة من الناس، وهذا ما يفسر طغيان السخرية وانتشارها، في حين أن المفارقة لا تشيع شيوع السخرية،

[1]– سميرة الكنوسي: بلاغة السخرية في المثل الشعبي المغربي، ص3.

[2]– نوال بن صالح: جماليات المفارقة في الشعر العربي المعاصر، ص73.

هذا بالرغم من أن المفارقة تستخدم على السطح قول النظام السائد نفسه، بيد أنها تحمل في طياتها قوة مغاي رة له. وتستخدم المفارقة في نهاية المطاف عندما تفشل كل وسائل الإقناع، ويخفق النقد الموضوعي، فعندئذ تظل المفارقة هي الطريق الوحيد المفتوح أمام الاختيار، والمفارقة لعبة عقلية من أرقى أنواع النشاط العقلي وأكثرها.[1]

أساليب السخرية:

تنوعت أساليب السخرية تبعا لتنوع الموضوعات التي يسخر منها، ومن أشهر هذه الأساليب:

أ- السخرية بالمحاكاة: تعد من أوائل صورها وأقدمها، ذاع صيتها في تاريخ البشرية، و تتجلى في تقليد الكلام أو الحركات الجسمية، أو أنماط سلوكية، أي في السمات البارزة التي تميز شخصية من الشخصيات، والسبب الذي يجعل التقليد مثيرا للسخرية هو ارتداء الساخر الشخصية المسخور منه كعباءة يتماجن بها المناداة بالألقاب: من أقدم صور السخرية، تمتاز بالسذاجة الساخرة، يستعمل فيها أسماء الحيوانات كألقاب كتسمية الشخص السمين بالفيل، وفيما بعد يصبح الاسم الذي يطلق عليه، ومن ذلك إعطاء صفة معكوسة لصيقة بشخص لا يتميز بها، كإطلاق صفة الهزيل على المكتتر.[2]

ب- التلاعب اللفظي:

الأساس فيه هو محاولة المتندر أن يكسب الألفاظ معاني غير معانيها الواضحة، فإذا ما اكتشف السامع أن ما يقصده المتكلم هو هذا المعنى الغريب يسخر من فهمه الأول لمعنى الجملة، فيضحك، ويكون التلاعب اللفظي: باختصار الفكرة أو بالإضافة إليها بحيث تّرجها عن معناها الأصلي أو بتبديل الكلمات المكونة لها، أو بنحت بعض ألفاظها أو بتقسيمها، أو بالعبث بأعجامها ومن أمثلته ما دار بين معاوية وبين ش ريك بن الأعور، وكان دميما، قال له معاوية: إنك لدميم

[1]- المتوكل طه: حدائق إبراهيم أوراق إبراهيم طوقان ورسائله ودراسات في شعره، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، ط1، 2004، ص132.

[2]- نعمان محمد أمين طه: السخرية في الأدب العربي، ص37-38.

والجميل خير من الدميم وإنك لشريك وما لله من شريك، وإن أباك لأعور والصحيح خير من الأعور فكيف سدت قومك ؟ فقال شريك: إنك معاوية، وما معاوية إلا كلبة عوت فاستعدت الكلاب، وإنك إبن صخر والسهل خير من الصخر وإنك إبن حرب والسلم خير من الحرب، وإنك إبن أمية وما أمية إلا أمة صغرت، فكيف صرت أمير المؤمنين؟[1].

ويلاحظ أن الأسلوب مزدوج، ويتداخل فيه اللعب بالألفاظ مع الرد بالمثل، وهو في ظاهره يمثل نوعا من المهارة في استخدام اللغة.

ت- التصوير المبالغ فيه (الكاريكاتورى): وهو وضع الشخص في صور مضحكة كالمبالغة في تصوير عضو من أعضاء الجسم ومحاولة تشويهه إلى حد ما، بحيث يجعل الشخص كأنه لا يدرك أو يعرف إلا بهذا العيب الذي جسده وكبره ومن ذلك ضخامة الجسم أو نحافته، وقصر القامة أو طولها المفرط، وارتفاع أحد الكتفين بصورة ظاهرة أكثر من الآخر، وتصوير الشذوذ في ملامح الوجه يلعب الدور الهام في هذا الصدد والأنف بصفة خاصة يعد مقياسا للشذوذ المثير للضحك، لهذا نلحظ أن المصور الكاريكاتوري يميل إلى تأكيد طول الأنف أو انعدامه لما يضفيه هذا الشذوذ من تأثير هزلي على الوجه.[2]

ث- تهوين المعظم (التحقير) :من أساليب السخرية كذلك معالجة الشيء الحقير كأنه عظيم، على سبيل السخرية والتهكم، وهو ما يسمى في الأدب العربي ب: الذم بما يشبه المدح، ويدخل فيه أيضا (تجاهل العارف)، وكل ذلك للتهكم والسخرية والإضحاك.[3]

ج- الرد بالمثل: وهو قائم على التبادل وكثيرا ما يستخدم للفكاهة والضحك لمجرد التسلية، والرد عادة يكون أكثر سخرية، وأشد لذعا ،و أدعى إلى الضحك، وهو يتطلب حيوية الذكاء وسرعة

[1]- حامد عبد الهوال: السخرية في أدب المازني، ص42.

[2]- نعمان محمد أمين طه: السخرية في الأدب العربي، ص 41.

[3]- المرجع نفسه، ص 36.

الخاطر، وقد يأتي بديهيا فنشعر بأنه لا رد سواه أكثر تجاوبا مع الموقف، كالمرأة التي سخرت من طول الجاحظ ردا على سخريته من طولها.[1]

ومثال ذلك أيضا حضور أعرابي على مائدة أحد الخلفاء، فقدم جدي مشوي، فجعل الأعرابي يسرع على المائدة أكله منه. فقال له الخليفة: أراك تأكله بجرد كأن أمه نطحتك ؟ فقال: أراك تشفق عليه كان أمه أرضعتك![2].

السخرية في القرآن الكريم:

مادة " سخر" في القرآن الكريم واردة بمختلف تصريفاتها، وهي في معظمها تصور مواقف سخرية المشركين من المؤمنين أو الرد على سخريتهم، وللسخرية وقع في النفس وشدة فتك بالإنسان لذلك استخدمها الكفار مع من استخدموا من أسلحة أخرى فإذا عرفنا هذا أدركنا السر الذي يكمن وراء تهديد الكفار بمثل هذا السلاح الذي آذ وا به المؤمنين ليكون ردعا لهم كما هددهم الله تعالى بالسخرية منهم في الآخرة كما فعلوا هم في الدنيا وهذا أنكى عقاب.[3]

قال تعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[4].

وقد وردت بمعنى التبشير في قوله تعالى: ﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[5]، أي أن الله تعالى يتوعدهم بعذاب أليم، واستخدم الخالق تعالى لفظة (بشر) والتي في مدلولها تدل على شيء من الخير واليسر لكنها في هذا الموضع قد وضعت للسخرية من الكفار جراء ما كانوا يفعلون، وقد وردت كذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ**﴾[6].

---

[1]- حامد عبد الهوال: السخرية في أدب المازني، ص 41.

[2]- سراج الدين محمد: موسوعة المبدعون النوادر والطرائف الفكاهة في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية.بيروت لبنان، 2017، ص 7

[3]- محمد أمين طه: السخرية في الأدب العربي، دار التوفيقية للطباعة بالأزهر، مصر، ط1، 1979م، ص72.

[4]- سورة البقرة، الآية: 212.

[5]- سورة التوبة، الآية: 03.

[6]- سورة المؤمنون، الآية: 110.

وقد وردت في القرآن الكريم بمعنى آخر في قوله تعالى: ﴿**أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ**﴾[1].

ويقول محمد سيد طنطاوي في "بشر المنافقين": التعبير بقوله: "بشر بدل أنذر أو أخبر للتهكم بهم، أي أنذر يا محمد أولئك المنافقين الذين أظهروا الإسلام وأخفوا الكفر بالعذاب الأليم، وسقلهم هذا الإنذار بلفظ التبشير على سبيل التهكم بهم والاستهزاء بعقولهم في مقابل تهكمهم بالإسلام.[2]

وقد توعد الله المنافقين بنار جهنم في قوله: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ**﴾[3]، أي أن الله تعالى توعد الكفار بالنار واستخدم لفظة "الوعد" للتهديد.

وقد وردت السخرية كذلك على لسان الأنبياء والمرسلين كقوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم: ﴿ **أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ**﴾[4]، وقال تعالى أيضا: ﴿**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾[5].

حيث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مر يوما بالوليد بن المغيرة وأبي جهل وأمية بن خلف فاستهزؤوا به. فأنزل الله هذه الآية الكريمة ليبين لهم أنه سيجازيهم بمثل ما فعلوا.

كما وردت السخرية أيضا في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ**[6].

---

[1]- سورة الزمر، الآية: 56.

[2]- محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط في القرآن الكريم، ص 461.

[3]- سورة التوبة، الآية: 68.

[4]- سورة الأنبياء، الآية: 62-63.

[5]- سورة الأنعام، الآية: 10.

[6]- سورة الحجرات، الآية: 11.

وقد نزلت هذه الآية الكريمة في وفد تميم حين سخروا من فقراء المسلمين كعمار وصهيب، فأنزل الله هذه الآية الكريمة، وقد أمر بالنهي عن السخرية من الأخر والاستهزاء به، حتّى ولو كانت فئة أفضل من فئة.

ونجدها كذلك في قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿**وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ**﴾[1]، فعندما صنع نوح السفينة ومر عليه أشراف قوم هزئوا بفعله، وهنا تحمل السخرية معنى الاستهزاء والاستخفاف. ومن هذه الأمثلة نجد أن السخرية في القرآن الكريم تدور بين استهزاء واستخفاف الكفار بالأنبياء والرسل، وقد توعدهم الله بالرد عليهم في الآخرة وعقابهم جزاء ما كانوا يصنعون.

وقد اعتمد القرآن التصوير الساخر من المنافقين والكافرين، فقدمهم في صور مضحكة، ومن ذلك قوله في المنافقين: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾[2]، وإنها لنقلة واضحة من السخرية البسيطة إلى السخرية التي تّفي وراءها أهداف القرآن التي جاء من أجلها في الإصلاح ومحاربة الرذيلة والتفاهة، والدعوة إلى المثل العليا، والمبادئ القويمة، والسلوك الصحيح، وبهذا أيضا يكون القرآن قد سما بأتباعه عن اتخاذ السخرية مجرد سلاح للتحطيم والهدم، كما كانوا يألفون في الهجاء[3].

السخرية في الأدب العربي:

حاول دارسو الأدب تأكيد الطبيعة الأدبية للسخرية بغض النظر عن أصولها الفلسفية، وكذا ارتباطها بالعلوم الإنسانية الأخرى (نفسية، اجتماعية ...) وذلك باعتبارها فنا من فنون القول، حيث أكد بيدا أليمان (Bidaallimane) أنه يجب التفريق بجلاء وبصورة نهائية بين السخرية كمبدأ فلسفي

[1]- سورة هود، الآية: 38.

[2]- سورة المنافقون، الآية: 04.

[3]- نزار عبد الله خليل الضمور: السخرية والفكاهة في النثر العباسي، ط1، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان، 1433هـ-2012م، ص33.

والسخرية كظاهرة من ظواهر الأسلوب الأدبي»[1] أي بالتركيز على مكوناتها اللسانية والسيميائية وكذا ببعديها الدلالي والإقناعي في النص الأدبي، لذلك يمكن حصرها في مكونين اثنين:

مكون انفعالي:

يتجلى في الاستخفاف المشتمل على الضحك أو الرغبة فيه وعلى الاستهجان أو مجرد الإحساس بالمفارقة.

مكون لساني بنائي:

يتجسد من خلال المفارقة الدلالية وما يترتب عنها من غموض والتباس»[2] معنى ذلك أن منطق السخرية يقوم أساسا على الإحساس بمفارقة دلالية يشكلها تقاطع بنية ضدية بين المعنى الظاهر والمعنى الملتبس والذي يؤدي لانفعال الضحك أو الرغبة فيه.

كما أنه من الصعب تحديد تاريخ دقيق لظهور مصطلح السخرية في المجتمع الإنساني، ومع ذلك يمكننا القول إنها موجودة منذ الأزل، فظهر مصطلح الأنا والإحساس بالفوقية، لتعرف السخرية بذلك تطورا ملحوظا خاصة مع تشكل الجماعات البشرية، وظهور مصطلحات القهر السياسي والتسلط.[3]

ثم انتقل الإنسان في هذا الفن إلى البحث عن وسيلة يكسب بها هزئه أكثر بقاء وخلودا عن طريق الرسم، فقد كشفت الدراسات والأبحاث الأثرية عن وجود «رسومات كاريكاتورية خلفها الإنسان القديم على جدران الأهرامات المصرية وكذا في أرجاء المعابد القديمة»، نذكر منها بردية مصرية قديمة بيد رسام ساخر مجهول عن طائر يصعد إلى شجرة ليس بواسطة جناحيه، وإنما بواسطة سلم خشبي، مما جعله موضع سخرية.[4]

---

[1]- محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص97.

[2]- المرجع نفسه، ص 87.

[3]- مشتوب سامية: السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص6.

[4]- عبد الحميد العرباوي: حول الأدب الساخر، منتديت ميازه نوفمبر 2005، www.tri icdlcula net.

وبعدها شهد مصطلح السخرية تطورا حقيقيا بارتباطه بالفلسفة اليونانية، حيث اتّذه سقراط في دفاعه عن مفهومي الحقيقة والعدالة، أساسا لحواراته الفلسفية التي جمعته بالسفسطائيين فاصطنع في تعليمه الفلسفي شخصية الساذج الحذق واختفى وراء قناع التجاهل والتواضع، فكان أنموذجا للتهذيب عن طريق استعمال الحيلة والمغالطة في الإيقاع بخصمه[1] ليصبح الجاهل عارفا والعارف جاهلا وتكون السخرية بهذا مرادفة للحكمة والدهاء.

السخرية في العصر الجاهلي:

والتراث الأدبي العربي يحفل بالعديد من الصور الساخرة مع أنها لم تبرز في شكل أدبي قائم بذاته، حيث كانت مرتبطة بالفنون الأخرى، ففي العصر الجاهلي كانت مرتبطة بالغضب والهجاء والذم والتعريض، حيث يكون الهجاء بالرغم من فظاظته وخشونته نوعا من السخرية، وبالرغم مما يبعثه في نفس المهجو من ضيق وألم فإننا نجده من جهة أخرى يشير نوعا من الضحك واللحد وذلك يكون عن طريق إبراز العيوب وتجسيدها وأحيانا المبالغة في تصويرها إلى درجة تجعل المهجو وكأنه غير ملائم للصورة الطبيعة الحقيقية.[2]

ومن أمثلة ذلك غضب الزبرقان من الخطيئة حين سخر منه قائلا:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وعرض الأمر على حسان بن ثابت فقال:) لم يهجه بل سلح عليه(وفي رواية) بل ذرق عليه(، وهذا يدل على فهم الجاهليين لقوة أثر السخرية ولو أنهم لم يجدو عنها التعبير الذي تستحقه بدليل أنه شبهها بالسلح.[3]

ففي الهجاء ما قاله "حسان بن ثابت" لبني عبد المدان يطول أجسامهم وبدانتهم:

لا بَأس بالقَوم من طول وغلظ أجْسَام البِغال وأحْلام العَصَافير

[1]- محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص83.

[2]- نعمان محمد أمين طه: السخرية فالأدب العربي ص25.

[3]- المرجع نفسه، ص24.

فتشبيه حسان لأجسام بني عبد المدان بالبغال وعقولهم صغيرة كعقول العصافير، هو موقف ساخر كان يحاول من خلاله إبراز وتبيان العيوب الجسدية والنفسية لهؤلاء فهذا نوع من أنواع الهجاء الذي ظهر وبرز عند العرب منذ القديم.

كما يوجد هناك شكل أخر ربما يكون أقل حدة من الهجاء وأخف وطأة، لأنه كان شكل غير مباشر جاء ذما في صي المدح جاء في قوله هذا "قريط بني الغبرى" في قومه:

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا في الشر في شيء وإن هانا

يجدون من أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا

كأن ربك لم يخلق لخشيته سواهم من جميع الناس إنسانا

فليت لي بهم قوما إذا ركبوا شفوا الإغارة فرسانا وركبانا.[1]

فمن خلال هذه المقطوعة بعد ما أطلعنا على الصفات الحميدة لقومه كالعفة والحلم وخشية الرب،نجده في البيت الأخير يذكر صور الضعف والتذلل، فهي تعتبر صورة أخرى من صور السخرية، إضافة إلى ذلك أنه هجاء اجتماعي خالي من السب والشتم ممزوج بشحنة عاطفية متدفقة يملؤها التحسر لحال قومه من جهة والغضب والسخط على حياة الذل والهوان التي كانوا يعيشونها من جهة أخرى.

وقالت (أم ندبة) زوج حذيفة بن اليمان، عندما قتل ولدها، تلوم زوجها، وتعيره، وتسخر من زوجها لقبوله الدية، وتدفعه إلى الثأر والانتقام، خشية وصفه بالجبن، والخذلان:

حذيفة لا سلمت من الأعادي ولا وقيت شر النائبات

أتقبل ندبة قيس وترضى بأنعام وسوق سارحات

أما تّشى إذا قال الأعادي حذيفة قلبه قلب البنات[2]

[1] – وسام مصلح: مدونة شغف القراءة، 2018/02/12.

[2] – عمر رضا خالد: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ص165.

فالزوجة هنا تقول ل زوجها: لا سلمت من الأعادي، ولا وقيت من المصائب، وتنكر قبوله الأنعام والمواشي دية لإبنه، وتحذره من العار الذي سيلحق به، وذلك كله تحريض له على الثأر لابنه.

واستخدمت الشاعرة الاستفهام لتزيد من وقع السخرية على نفس زوجها، وتدفعه إلى الثأر لابنها.

وبهذا يمكن الاستدلال على وجود السخرية في العصر الجاهلي، ولكن هذه الأمثلة لا تشير إلى ألوانها وأساليبها. فالشواهد الدالة على السخرية مما وصلنا من العصر الجاهلي قليلة مقارنة مع غيرها من الموضوعات.

السخرية في العصر الإسلامي:

أما مع ظهور فترة الإسلام في شبه الجزيرة العربية، فقد كان للإسلام تأثير كبير في ت راجع الهجاء والذم والسخرية من الآخرين، حيث حرمت هذه الأساليب ونهى عنها الإسلام في عدة مواضيع، ولكنها عادت من جديد مع عودة هجاء الكفار للمسلمين ،فكان لابد للرد بالمثل ليظهر بذلك أنواع مختلفة للهجاء، "الهجاء السياسي والديني والمادي والجسماني"، وخاصة مع بداية انتشار الإسلام واتساع رقعته.

ومن أمثلة ذلك ما قاله حسان بن ثابت في هجاء هند في غزوة أحد:

أشرت لكاع وكان عادتها لؤم إذا أشرت مع الكفر

أخرجت مرقصة إلى أحد في القوم معنقة على بكر

بكر ثقال، لا حراك بـه لا عن معاتبة، ولا زجـر

وعصاك إستك تتقين به دق العجاية عاري الفهر[1]

ففي هذه الأبيات، هجاء فاحش يصور فيه "حسان" "هند" بأبشع صورها، وهي صور ساخرة لا يمكن لعقل الإنسان تصورها.

[1]– ضابط الحربية: ديوان حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي، مطبعة السعادة بجوار محافظة، مصر، د.ط، ص188.

ومع عودة هجاء الكفار للمسلمين، كان في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، لواء الشعر معقود على حسان بن ثابت حيث كان يضرب بشعره مقاتلا قريش ويحشد كل إمكانياته البيانية في إطار إيمانه المنيع العميق، وحبه للرسول صلى الله عليه وسلم وكان مما قال في هجاء قريش ولأبي سفيان بصفة خاصة، الذي عادى النبي صلى الله عليه وسلم عداءا شديدا فهجاه وسخر منه، ويقول حسان:

هجوت محمدا فأجبت عنه أتهجوه ولست له بكفء

هجوت مباركا بـــرا حنيفـا وعند الله في ذاك الجزاء

فشركما لخيركمـــا الفـــداء أمين الله شيمته الوفـــــاء[1]

وفي الذكر أيضا (الخطيئة)، الشاعر المخضرم الذي أدرك الجاهلية وأسلم في زمن أبي بكر، لم يسلم أحد من لسانه، هجا أمه وأباه وهجا نفسه، له قصة مشهورة مع سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، هجا الخطيئة رجلا يدعى الزبرقان بن بدر، فقال فيه:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي شبه دوره كرجل بدور النساء في البيت، اقعد في المنزل وأكس الأبناء وأطعمهم،فذهب الزبرقان إلى سيدنا عمر يشكوه، فحبس سيدنا عمر رضي الله عنه الحطيئة، وفي السجن أنشده ببعض الأبيات يستعطف فيها سيدنا عمر فقال:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليـك سلام الله يا عمــر

ثم عفا عنه وحذره من الاستمرار في سخريته وهجائه، إلا أنه لم يرتدع حتّى وفاته، كما وسخر الخطيئة من أقرب الناس إليه، من أمه وأبيه، ومن الناس كافة، وكان سبب ذلك شخصيته المطبوعة بالسخرية، فلم يهتد إلى حقيقة أبيه، فكانت نظرة الناس إليه نظرة مقيتة وكأنه ابن زنى،

[1]- ضابط الحربية: ديوان حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي، ص 16-17.

وحرم من الميراث، فأحس بالظلم، مما جعله يحقد على المجتمع كله، إضافة إلى قبح منظره، فهذه العوامل جعلت منه شاعرا ساخرا وساخطا على البشر جميعهم[1].

السخرية في العصر الأموي:

ازداد تطور فن السخرية وانتشاره مع بداية الخلافة الأموية، حيث انتشر الإسلام تقريبا في جميع أرجاء الجزيرة العربية، لأنه ومع تحول نظام الحكم من شوري إلى ملكي وراثي تفشت الصراعات السياسية والخلافات الحزبية بين المسلمين، فعرف الهجاء في هذه الفترة أوج مراحل تطوره خاصة مع ثلاثي النقائض]جرير، الأخطل، الفرزدق.[2]

فنجد (جريرا) يتخذ من النساء مادة خصبة للسخرية، فيسخر من نساء قوم)الأخطل(فيقول:

نساء تغلب لا حلم ولا حسب ولا جمال ولا دين ولا خفر

ما كان يرضى رسول الله دينهم والطيبان أبو بكر ولا عمر[3]

ومن خلال البيتين نقف على الأوصاف الجسمية التي أنشدها (الأخطل) ساخرا منهن حيث يرى أنهن لا يملكن لا حسبا ولا نسبا ولا جمالا، وحتّى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرضى دينهن، وقد كانت سخريته لاذعة حيث لم يبق لهن ميزة تتوارى بها عيوبهن.

ولا يقف (جرير) عند هذا الحد بل يبال في السخرية من الفرزدق، وهو يهجوه بأبشع الصفات فيقول:

مـــا للفرزدق من عز يلـــــوذ به إلا بنو العم في أيديهم الخشب

سيروا بني العم فالأهواز منزلكم ونهر تيري، فلم تعرفكم العرب

الضاربو النخل لا تنبو مناجلهم عن العذوق ولا يعييهم الكرب[4]

[1]- أيوب يوسف: فكر وفيها، ص109.

[2]- مشتوب سامية: السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص14.

[3]- جرير: ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1986م، ص201.

[4]- المرجع نفسه، ص45.

فيسخر (جرير) بـ (الفرزدق) في هذه الأبيات، ويرى بأنه ليس لديه أي شيء يفتخر به سوى أبناء عمه الذين دائما يحملون الخشب في أيديهم للمواجهة ،فهم يحملون أعواد الخشب المتدلية كعنق ود العنب ولا تعييهم أصول العسف وهذا دلالة على الجبن.

والفرزدق يمثل الطبقة المترفة الغنية في المجتمع ،مقابل جرير الذي يمثل الطبقة الفقيرة البائسة،وقد اشتعلت نار الخصومة والسخرية بين الشاعرين وكانت النقائض في هذا العصر، تمثل نوعا من السخرية، إضافة إلى غايتها المتمثلة في إبراز القدرة على القول، والترفيه والإضحاك،[1] فهي سخرية تّتلف في مفهومها وغايتها.

كانت النقائض والتي سخر فيها الشعراء بعضهم ببعض، أشبه بالمناظرات الأدبية، والتي أوجدتها ظروف عقلية واجتماعية في هذا العصر[2]، فلم تعد النقائض قصائد هجاء بمفهومها القديم، غايتها السب والشتم، والنيل من الآخرين، بل أصبح لها مفهوم جديد، فغايتها الإمتاع والإضحاك والتسلية، فكان الناس يجتمعون حول الشعراء في الأسواق الأدبية للاستماع والاستمتاع.

السخرية في العصر العباسي:

تطورت الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في هذا العصر، وكان للحضارة الأجنبية من فارسية ويونانية وهندية وغيرها تأثيرها الواضح في تطور الأدب بعامة والسخرية بخاصة ما ساعد على انتشارها وشيوعها، وظهر العديد من الشعراء والكتاب الذين اتسم أدبهم بالسخرية، وقد ظهر في ميدان الشعر شعراء أمثال: (أبو نواس)، (ابن الرومي)، (أبو الشمقمق) وغيرهم.[3]

فنجد في مقدمة الشعراء الساخرين (ابن الرومي)، الذي حاز في فن الهجاء المرتبة العليا، وبرز أقرانه وتفوق عليهم، وليس عجيبا أن يفروا من الميدان خوفا من لسانه السليط وهجاؤه نوعان: مضحك ساخر، وآخر مقذع فاحش فيه هتك للأعراض ...

[1]- شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص163-180.

[2]- المرجع نفسه، ص186.

[3]- نعمان محمد أمين طه: السخرية في الأدب العربي، ص112.

وقد اعتمد في هجائه الساخر على عيوب المهجو الخلقية فاستغلها وكبر حجمها ط ولا وعرضا، أو كأنه يمسخ الصورة فيصغرها حتّى كأنك تقف أمام قزم يثير الضحك أو التقزز أحيانا، كما في هجاءه لصاحب اللحية، أو في تصويره بخل عيسى بن موسى وجعله يتنفس من منخر واحد لشحه، أو صورة الأحداب التي تبعث على الاشمئزاز[1]، فنجده يسخر من والي بغداد (محمد بن عبد الله طاهر) ويهجوه هجاء مرا، يقول:

إذا حسنت أخلاق قوم فبتسما خلفتم به أسلافكم آل طاهـر

جنوا لكم أن تمدحوا وجنيتـم لموتاكم أن يشمتوا في المقابر[2]

فهو يسخر من قوم آل طاهر، ويقول لهم مهما كانت أخلاق فئة ما حسنة محمودة فأخلاقكم أنتم مذمومة، لأن أسلافكم تركوا لكم ما تمدحون به، في حين أنتم ى آل طاهر من جراء أفعالكم الطالحة أو السيئة تركتم لهم ما يذمون به من شماتة وعار كما يسخر من البخيل في قوله:

إذا غمر المال البخيل وجدته يزيد به يبسا وإن ظن يرطـب

وليس عجيبـا ذاك منه فإنه إذا غمر الماء الحجارة تصلب[3]

فهو يسخر من البخيل، يرى بأنه إذا كثر عليه المال فإنه يزيد في درجة البخل ولا يجود أبدا، فطبيعة البخل طاغية عليه، ويشبهه بالحجارة التي مهما لامسها الماء فإنها تزداد صلابة ولا تتكسر.

وبهذا يتضح أن السخرية قد تطورت في العصر العباسي، حتّى أصبحت ظاهرة فنية، واضحة المعالم، وقد لجأ الشعراء إليها للدفاع عن أنفسهم، فهي سلاح نفسي فعال، ولها تأثير قوي على النفس إذا ما أحسن استخدامها، كما يمكن استخدامها في إصلاح وتوجيه من يخرجون عن العادات والتقاليد المجتمعية وتوجيههم، حيث إن سلطان العادات والتقاليد أقوى في بعض الأحيان من سلطان

[1]- ابن الرومي: ديوان ابن الرومي، شرح: أ. أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ج1، بيروت، ط3، 2003م، ص11.

[2]- المرجع نفسه، ص8.

[3]- نفسه، ص89.

القانون نفسه، لأنه من المعروف أن العادات والتقاليد سلطانا اجتماعيا يوصف بأنه أقوى من سلطان القانون،[1] كما استخدمت في تغيير النظام العام الذي يسير العالم،[2] ويحقق العدالة والأمن.

السخرية في العصر الحديث والمعاصر:

لم ينته الأدب الساخر بانتهاء العصر العباسي، بل بقي رائجا حتى العصر الحديث، والذي حفل بصورة السخرية وتطورت فيه تطورا ملحوظا على يد ثلة من الشعراء والكتاب أمثال:

(أحمد شوقي)، (أمل دنقل)، (المازني).

ومن بين الشعراء الساخرين نجد (أحمد شوقي) الذي يسخر من انتحار طلبة مصر الذين كانوا قد تفشت فيهم عادة الانتحار بعد فشلهم في الامتحان، وأراد أن يقطع عليهم اليأس ويبسط فيهم الأمل ويحثهم على الصبر فيقول:

كل يوم خبر عن حـــدث سئم العيش، ومن يسئـم يـــذر
عاف بالدنيا بنـاء بعدمـــا خطب الدنيا، وأهـــدى ومهـــر
حل يوم العرس منها نفسه رحم الله العـــروس المحتضـــر
ذاق بالعيشة درعا فهـوى عن شفى اليأس، وبئس المنحدر
راحلا في مثل أعمار المنى ذاهبا في مثل آجـــال الزهـــر
هاربا من ساحة العيش ومـا شارف الغمـرة منهـــا والغـــدر
لا أرى الأيم إلا معركـــا وأرى الصنديد فيهـــا من صبـــر[3]

وقد عرف (حافظ إبراهيم) بالسخرية اللاذعة، والتي نجدها في المجالس التي كان يقيمها، وكان يرويها شعرا في أغلبها، وكان أهم ما يميز جلساته هو روح الفكاهة والسخرية خاصة من أصدقائه

[1]- عبد الحليم حفني، التصوير الساخر في القرآن الكريم، ص23.

[2]- أدونيس، علي أحمد سعيد، مقدمة للشعر العربي، ص 41-42.

[3]- أحمد شوقي، الشوقيات، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية، القاهرة، ط2، 2012م، ص169-170.

(كمحجوب ثابت)، وغيره من الشعراء. فنجده يسخر من ركود المصريين ويدعوهم للجهاد والنضال من أجل تحرير مصر وأن لا يقفوا أمام الخطوب مكتوفي الأيدي بل يناضلوا، يقول:

قم يا ابن مصر فأنت حر واستعد مجـــد الجدود ولا تعد لمراح

شمر وكافح فـي الحيـــاة فهـذه دنيـــاك دار تناحـر وكفـــاح

وانهل من النهال من عذب الحيا فإذا رقى فامتـــع مع المتـــاح

وإذا ألح عليـك خطـب لا تهـن وضرب على الإلحاح بالإلحاح.[1]

وخلاصة القول أن السخرية في العصر الحديث قد كانت هادفة إلى تقويم المجتمع وإصلاحه من الفساد، كما كانت حريصة على معالجة القضايا الهامة والأوضاع المتردية لذلك كانت بناءة أكثر من مسلية وداعية أفراد المجتمع للنهوض واليقظة.

[1] – حافظ إبراهيم: ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وصححه وشرحه أحمد أمين؛ أحمد الزين؛ إبراهيم الأبيار، الهيئة المصرية للكتاب، ط3، 89131987م، ص223.

الفصل الثاني:

سخرية الخطاب الشعري عند المتنبي

نبذة عن حياة المتنبي:

المتنبي:

تلك هي الكلمة التي أصبح مدلولها اسم علم على شاعر متميز له من القوة الحضارية والقيمة التراثية ما يدعونا دائما إلى التحدث عنه وبه بشكل مباشر أو مواسط[1].

وقد لقب بالمتنبي لأنه إدّعى النبوة في بادية السماوة وهي أرض بحيال الكوفة مما يلي الشام ولما فشا أمره خرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الإخشيد فإعتقله زمانا ثم إستتابه وأطلقه[2].

نسبـه:

تشوب نشأة المتنبي بعض الشوائب، أو بعض الغموض إن شئت ولكن الثابت أن أباه الحسين الجعفي كان فقيرا يسقي الماء بالكوفة، وقد لقب بعيدان السقا، ولما شب المتنبي، وكثر حساده راح هؤلاء يعيرونه بأبيه، كما كان يتهرب حين يسأل عن حقيقة نسبه أو انتسابه[3].

حياتـه:

هو أبو الطيب بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي المعروف بالمتنبي، وعلى رواية ابن خلكان وابن حجر في الميزان: هو أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار، ولد بالكوفة في محلة كندة سنة 404، وأمه همدانية صحيحة النسب وكانت من نساء الكوفة المرموقات، سئل المتنبي عن نسبه فقال: أنا رجل أخبط القبائل وأطوي البوادي وحدي، ومتى انتسبت، لم أمن أن يأخذني بعض العرب بمطالبة بينها وبين القبيلة التي أنتسب إليها ومادمت غير منتسب إلى أحد فأنا أسلم على جميعهم ويخافون لساني[4].

وقد حاول المتنبي شق طريقه بيده فراح يقصد دكاكين الوراقين ليستفيد من كتبهم وبقراءة ما تحويه المجلات عندهم، فإذا لم يتمكن من شراء الكتاب استأجره، وإذا لم يتمكن جلس عند صاحب

[1]- عبد الغني الملاح: المتنبي يسترد أباه دراسة في نسب المتنبي، ص7.

[2]- ناصيف اليازجي: ديوان المتنبي، ج1، دار نظير عبدو، ط2، 1416هـ-1996م، ص 12.

[3]- خليل شرف الدين: المتنبي أمة في رجل، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1992م، ص19.

[4]- المرجع نفسه، ص 19-20.

المكتبة يقرأ ما يريد، كان فتى ذكيا قوي الحفظ محبا للعلم والأدب حتى أنه كان يلازم العلماء والأدباء ويقصد حلقاتهم ليتعلم اللغة العربية والشعر والأدب.[1]

في البادية:

اتصل في البادية بقبائلها الثائرة وعلى رأسها قبيلة كليب التي كانت تحمي الحركة القرمطية، والمرجح أن المتنبي تأثر بهذه الحركة، وظهر أثر ذلك في شعره وفي سلوكه.

في الشام:

أخذ يتصل برؤساء القبائل والأغنياء ويمدحهم، ويبيع شعره "في سوق الكساد " كما يقول رغبة منه في كسب المال والجاه والشهرة وقد تم سجنه من قبل لؤلؤ أمير حمص، وبعد خروجه اتصل بالأمير العربي بدر بن عمار في طبرية فمدحه ولقي عنده حظوة وتقديرا.

في بلاط سيف الدولة:

وجد المتنبي في بلاط سيف الدولة الجو الرفيع الذي كانت تتوق إليه نفسه فكان لاتصاله به أبلغ الأثر في شعره وفي حياته، وذلك لأنه وجد في شخصية سيف الدولة من المعاني، والقيم ،إضافة إلى المعاملة الجيدة التي خصه بها فارتاحت له نفسه بعد طول قلق واضطراب، فقد قرب سيف الدولة المتنبي منه وجعله شاعر البلاط الأول.[2]

فأغدق عليه الجوائز السخية وأحبه، وقد أعفاه من الوقوف في أثناء الإنشاد ومن تقبيل الأرض بين يديه وهكذا لزم المتنبي سيف الدولة تسع سنين كانت حافلة بالأحداث الحربية من جهة سيف الدولة والأدبية من جهة المتنبي، وقد نعم المتنبي في هذه السنوات بما لم ينعم به شاعر عند أمير إلى أن فرق الحساد بينهما، حتى انحرف عنه، وأصغى إلى قول الحساد، والخصوم، مما أجبر المتنبي على الرحيل تاركا حلب.[3]

[1]- يوسف البديعي: الصبح المنبي في حيثية المتنبي، دار المعارف، مصر القاهرة، 1963، ص 20

[2]- خليل شرف الدين: المتنبي أمة في رجل، ص 22

[3]- المرجع نفسه، ص 27-30

عند كافور: قصد المتنبي كافور راغبا في الحصول على الولاية، إلا أن كافور لم يحقق له مراده، فشعر المتنبي بالإحباط، فهجاه بعد أن كان يمدحه وتمكن من الفرار تاركا وراءه قصيدته الهجائية في كافور "لا تشتري العبد "[1]

في شيراز:

انتقل المتنبي إلى أرجان، بعد أن دعاه ابن العميد لزيارته فمدحه ونال جوائزه ومن أرجان سار إلى شيراز قاصدا عضد الدولة، فتلقاه بالترحيب والتكريم ونظم فيه ثمانية قصائد فأجزل له العطاء.[2]

وفاته:

خرج أبو الطيب من بلاد فارس وسار معه غلمانه ولما كان في بعض طريقه إلى بغداد تلقاه فاتك خال ضبة الأسدي وأصحابه من الأعراب وقتلوا غلمانه وبذلك كانت وفاته على يد فاتك الأسدي، وكانت آخر كلماته "خذوا كل شيء واحفظوا ديواني فهو كل ما تبقى لي في هذه الحياة " وكان ذلك سنة 354هـ، فقد ذهب المتنبي ضحية لسانه وتلقى الموت ثمنا لقصيدته البائية التي هجا بها ضبة في الكوفة.[3]

فقد مات المتنبي وحيدا في غياهب الصحراء كما عاش وحيدا وهو وإن لم يحقق المجد السياسي الذي سعى إليه فقد حقق مجدا أدبيا تجلى في ثروة شعرية مازالت إلى اليوم مثار جدل ونقاش وستبقى كذلك إلى أجل مسمى.[4]

[1]- خليل شرف الدين: المتنبي أمة في رجل، ص20-22.

[2]- المرجع نفسه، ص34-39.

[3]- أبو البقاء العكبري: شرح ديوان أبو الطيب المتنبي، ج2، ص 396.

[4]- المرجع نفسه، ص290.

هجاء كافور الإخشيدي وأتباعه:

عرف المتنبي بصفات عديدة، منها اعتزازه وثقته بنفسه وطموحه المتزايد الذي لا يعرف له حدودا ما مكنه من أن يكون شخصية ساخرة بمرارة لا ترحم خصمه لاسيما إن كان هذا الخصم يقف حائلا دون تحقيقه لمبتغاه (كالكافور الإخشيدي) الذي خصه بأغلب شعره الساخر، وتمثل ذلك في قصيدة أشخصا لحت لي أم مخازيا حيث يقول في كافور:

وَتعجِبني رجلاكَ في النعلِ إنني رأيتكَ ذا نعـــلٍ إذا كُنتَ حافيـــا

وإنكَ لا تدري ألونكَ أســـوَد مِنَ الجهلِ أم قد صارَ أبيضَ صافيـــا

وَيُذكرني تَخييطُ كَعبكَ شَقَّـــهُ وَمَشيكَ في ثـــوبٍ مِنَ الزيتِ عاريـــا

وَمِثلكَ يؤتى مِن بلادٍ بعيـــدَةٍ ليضحِكَ رابـــاتِ الحدادِ البواكيـــا.[1]

فقد جعل المتنبي من مهجوه مجموعة نقائض، ومخازي لا شخصا حقيقيا وذلك من خلال توظيف العيوب الجسدية لخصمه، حيث سخر من رجلي كافور المشققتين كرجلي بعير، ومن مشفريه، ومن شكله فجعله مهرجا أو (كراكوزا) يؤتى للتفرج عليه من بلاد بعيدة حتى يضحك الثكالى تلقاء مشاهدته.[2]

ومن أكثر قصائده الساخرة على كافور قصيدة أين المحاجم ياكافور؟ التي قال فيها:

من أيةِ الطرقِ يَأتي نَحوَكَ الكَرمُ أينَ المحاجِمُ يا كافورُ وَالجلَمُ

جازَ الألى مَلَكَت كَافاكَ قدرهُمُ فَعرفوا بكَ أنَّ الكَلبَ فوقَ هُمُ

ساداتُ كُل أناسٍ مِن نفوسِهِـــم وَسادَةُ المُسلمينَ الأعبدُ القَزمُ

أغايةُ الدينِ أن تُحفوا شَواربكُم يا أمَّةً ضَحِكَت مِن جَهلها الأمَمُ.[3]

[1] – أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 500-501.

[2] – خليل شرف الدين: المتنبي أمة في رجل، ص18.

[3] – أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 502.

يبدو أن المتنبي في هذه الأبيات هازلا، ساخرا من خصمه ويتجسد ذلك في تصويره له بأبشع صورة، حيث يبدو "كلبا " تارة و"فحلا " تقوده أمة تارة أخرى فيما أظهر لونه وشكله بأنه "أسود قزم"[1]. كما سخر من كافور لأنه حفى شاربه، وبالغ في أخذه واستقصى قصة فيقول لأهل مصر لا شيء عندكم من الدين سوى إحفاء الشوارب حتى ضحكت من جهلكم الأمم بطاعتكم لهذا الأسود.[2]

كما استمرت سخرية المتنبي من كافور ونجد ذلك في قصيدته كل مكان ينبت العز طيب، حيث يقول:

وَأخلاقُ كافورٍ إذا شِئتُ مَدحَهُ وَإن لَم أَشَء تُملي عَلَيَّ وَأكتبُ

إذا تَركَ الإنسانُ أهلاً وَرائـــهُ وَيَمَمَ كـــــــافوراً فما يَتَغربُ

فتىً يَملَأ الأفعالَ رأياً وحِكمَـةً وَنادِرةً أحيانَ يرضى وَيغضَـــبُ[3]

فهذه سخرية متطورة في أسلوبها إلى أبعد الحدود حتى أن القارئ هنا يمكنه أن يستقبلها على وجهين، كما قال جابر عصفور: الذي رأى فيها أن أولهما مديح ظاهر لشاعر الذي يملي عليه فضائل كافور القول رغما عن أنفه ... أما الوجه الثاني للَبيات في حالة إدراك مغزى السخرية، فيؤدي نقيض المعنى فأخلاق كافور السيئة تفرض نفسها على الشاعر حتى لو شاء أن يتجاهل ما فيها.[4]

إلى أن يصل إلى قوله:

وَما طرَبي لمّا رأيتكَ بدعَةً لقَد كُنتُ أرجو أن أراكَ فأطربُ[5]

---

[1]- طه حسين: مع المتنبي، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، ص 335.

[2]- أبو البقاء العكبري، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي (ج 2)، ص502.

[3]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 467-468.

[4]- سخرية المقموع: مقال منشور، بمجلة العربي، ع 401، مارس 2008 م، ص 79.

[5]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي ص470.

هذا البيت يشبه الاستهزاء به، لأنه يقول طربت على رؤيتك كما يطرب الإنسان على رؤية القرد وما يستجمله ويضحك منه، قال ابن جني: لما قرأت على أبي الطيب هذا البيت قلت له أجعلت الرجل أبا زنى فضحك لذلك.[1]

ومن أشهر أهاجيه وأبرعها التي قالها في كافور وأتباعه:

إني نــزلتُ بِكَذابيـــنَ ضَيفُهُـــمُ عَنِ القِرى وَعَنِ التَرحالِ مَحدودُ

جودُ الرجالِ مِنَ الأيدي وجودُهُـمُ مِنَ اللسانِ فلا كانوا ولا الجودُ

ما يقبضُ المَوتُ نفساً مِن نفوسِهِمُ إلا وَفي يدِهِ مِن نتنها عـــــودُ.[2]

فالمتنبي هنا يهجو كافور وبطانته، فينعتهم بالكذب والبخل والنتن والقذارة، فهو يصور لنا بخلهم وحرصهم الشديد على إقتناء الأموال وجودهم بألسنتهم لا بما في أيديهم، فهم لا يجودون بالعطايا كالرجال بل باللسان والمواعيد الكاذبة فهم يقولون مالا يفعلون، فلا كان هؤلاء القوم ولا كان جودهم.[3]

ثم ينتقل إلى هجاء المصريين بقوله:

أكُلما اغتالَ عَبدُ السوءِ سَيدهُ أو خانهُ فَ لهُ في مِصرَ تَمهيدُ

صارَ الخصِيُّ إمامَ الآبقينَ بِها فالحرُّ مُستعبد وَالعَبدُ مَعبـودُ

نامت نواطير مصر عن ثعالبها فقد بشمن وما تفنى العناقيد.[3]

يقول أكلما أهلك عبد السوء سيده، مهد أمره في مصر، وملك على الناس، ويقصد بذلك أن الأسود قتل سيده، ثم تملك على أهل مصر، فقبلوه وانقادوا له، بحيث يصبح الحر مستعبدا والعبد

[1]- ياسين الأيوبي: المتنبي في عيون قصائده، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2002 م، ص79.

[2]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 507.

[3]- ياسين الأيوبي: المتنبي في عيون قصائده، ص 445.

[4]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص507.

سيدا وذلك لأن كبار السادة (النواطير) غفلوا عن العبيد والأراذل (الثعالب)، وقد أكلوا فوق الشبع وعاثوا في أموال الناس، وجعل العناقيد مثلا للأموال.[1]

ثم ينتقل إلى هجاء العبيد فيقول:

العَبدُ ليسَ لِحرٍ صالـــحٍ بِـــأخٍ لو أنهُ في ثيابِ الحرِ مَولـــودُ

لا تشترِ العَبدَ إلا وَالعَصـا مَعَـهُ إنَّ العَبيدَ لَأنجاس مَناكيـــــدُ

ما كُنتُ أحسَبني أحيا إلى زمَـنٍ يسيءُ بي فيهِ كَلب وَهوَ مَحمودُ

لاتَوهَّمتُ أنَّ الناسَ قد فُقِـدوا وَأنَّ مِثلَ أبي البيضاءِ مَوجـودُ

وَأنَّ ذا الأسوَدَ المثقوبَ مِشفَرهُ تطيعهُ ذي العَضاريطُ الرعاديـدُ.[2]

يقول: أن العبد لا يؤاخي الحر، لما بينهما من التباعد في الأخلاق، وإن ولد العبد في ملك الحر، وهذا إغراء لابن السيدة، يعني أن الأسود وإن أظهر له الود فليس له بمخلص، ويرى أن العبد لا يصلح إلا على الضرب والهوان لسوء أخلاقه، ويقول: ما كنت أضنني يؤخرني الزمان إلى أجل يسيء لي فيه، شر الخليقة وأنا أحتاج إلى أن أمدحه وأحمده، لا يمكنني أن أظهر الشكوى

كما يقول: ولا توهمت أن الأسود العظيم المشافر، يستغوي هؤلاء اللئام، الذي حوله يطيعونه ويصدرون عن رأيه، والعضروط: التابع الذي يخدم الناس بطعام بطنه والرعديد: الجبان.

ويعود إلى هجاء كافور بقوله:

جَوعانُ يَأكُلُ مِن زادي وَيُمسِكُني لِكَي يقالَ عَظيمُ القَدرِ مَقصـــود

وَيلامِها خُطةً وَيلمِ قابلهـــــــا لِمِثلها خُلقَ المَهريةُ القـــــــودُ

وَعِندَها لذَّ طعمَ المَوتِ شاربـــهُ إنَّ المَنيةَ عِندَ الذُلِ قنديـــــدُ

مَن عَلمَ الأسوَدَ المخصِيَّ مَكرمَةً أقومُهُ البيضُ أم آبائهُ الـــصيدُ

أم أذنهُ في يدِ النخّاسِ دامِيـــةً أم قدرهُ وَهوَ بِالفَلسَينِ مَـــردودُ

[1] – أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 445-446.

[2] – المصدر نفسه، ص507-508.

أولى اللئام كُوَيفير بمَعـــــــذِرةٍ في كُلِ لؤم وَبَعضُ العــذرِ تَفنيــد

وَذاكَ أنَّ الفُحولَ البيضَ عاجِزة عنِ الجميلِ فَكَيفَ الخصيةُ السودُ[1]

وصفه بالجوع للؤمه وبخله حيث يقول: هو يمسكني عنده لكي يتجمل بقصدي إياه، فيقولالناس، إنه عظيم القدر إذ قصده المتنبي مادحا، وقد وظف كذلك أوصاف قاسية كما رأينا تبعث على السخرية اللاذعة من قبل "المخصى" وتصغيره لإسمه "كويفير " وتكنيته "بأبي البيضاء " وهي كنية تبعث على الاستهزاء والسخرية لوصفه بعكس لونه الأسود، والغريب أنه أنكر عليه خلقه رآه أسودا ذميما قبيح الشكل ضخم المشفرة مشقوقة ... خصيا على الرغم من أنه كان يعرف هذا كله في كافور حين كان يمدحه ويتملقه.[2]

ومن أشد أهاجيه إيلاما وإيجازا، وروعة فن، وتصوير، هذه الأهزوجة الجزئية.

وَماذا بمصرَ مِنَ المُضحِكاتِ وَلكِنهُ ضَحِك كَالبُكـــا

بِها نَبطِيٌّ مِنَ أهلِ السَـــــوادِ يدَارسُ أنسابَ أهلِ الفَلا

وَأسوَدُ مِشفَرهُ نصفُـــــــهُ يقالُ لهُ أنتَ بدرُ الدُجى

وَشِعرٍ مَدَحتُ بهِ الكَرَكَـــدَنَّ بينَ القَريضِ وَبينَ الرقـى

فما كانَ ذلكَ مَدحاً لـــــهُ وَلكِنهُ كانَ هَجـوَ الوَرى[3]

فالبراعة في هذه الأرجوزة تقوم على ألوان من الطباق، تساعد على إخراج صورة طريفة وكئيبة، لكافور وحاشيته ... ورعاياه الذين يتملقونه، فيمتدحون علمه وهو جاهل وجماله، وهو قبيح ... وإذا من كل ذلك ضحك يحمل كل معاني البكاء وسخرية هازلة تحمل كل معاني المأساة ... وها هو يعلن أن مدحه لكافور أو (الكركدن) لم يكن في الواقع مدحا ... بل كان حين اضطر إلى مدحه، يهجو الناس جميعا.[4]

---

[1]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 508.

[2]- طه حسين: مع المتنبي، ص328.

[3]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص511.

[4]- خليل شرف الدين، المتنبي أمة في رجل، ص 129-130.

وقال يهجو السامري الذي رآه أصغر من الهجاء:

أسامِريُّ ضُحكَةَ كُلِ راءٍ فطِنتَ وَأنتَ أغبى الأغبيـــــاءِ[1]

والمعنى هنا: يا سامري يا من يضحك منه كل من رآه، أعلمت ما أنشدت وأنت أجهل الجهال؟: يعني كيف علمت ذلك وأنت جاهل؟ وذلك أن المتنبي لما أنشد سيف الدولة قوله:"واحر قلباه، " قال هذا السامري ــ وقد خرج أبو الطيب ــ ألحقه فأخذ لك رأسه؟ يخاطب سيف الدولة بعد خروج أبي الطيب فقال المتنبي هذا يهجوه.[2]

صَغرتَ عَنِ المديحِ فَ قُلتَ أهجى كَأنكَ ما صَغرتَ عَنِ الهجـاءِ

وَما فَكَّرتُ قبلكَ في مُحـــــــالٍ ولا جَربتُ سَيفي في هَبـــاءِ[3]

والمعنى من ذلك أنك لما كنت حقيرا لا قدر لك وقد أمنت أن تمدح، فقلت أهجي فكأنك ما صغرت قدرك عن الهجاء وهذا البيت الذي قبله، يريد به ما هجوت قبلك مثلك، ولا فكرت به ولا جعلت بالي إليه لأنك لا قدر لك، فأنا لا أجرب سيفي في غير شيء يوجب التجربة فيه، وهذا مثل[4].

ونجده في هذه الأبيات التي قالها يسخر فيها برجلين قتلا جرذا وأظهراه للناس:

لقَد أصبحَ الجرذُ المستغيرُ أسيرَ المنايا صَريعَ العَطب

رماهُ الكِنانـــيُّ وَالعامِـــريُّ وَتلاهُ للوجـــهِ فعلَ العَـــرب

كلا الرجُليـــنِ اتـــلا قتلَـــهُ فأيكُمـــا غَلَّ حُرَّ السَلـــب[5]

وها هو يرى بأم العين مشهدا يثير في نفس العربي مشاعر التقزز والقرف واليأس فالشاعر يقص علينا في البيت الأول والثاني قصة مؤثرة فيها ما يحزن، وفيها ما يثير الإعجاب، في البيت الأول

[1]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص334.

[2]- أبو البقاء العكبري: شرح ديوان المتنبي، ج1، ص45.

[3]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص334.

[4]- أبو البقاء العكبري: شرح ديوان المتنبي، ص46.

[5]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص13.

ما يحزن ويدعو إلى الرثاء لهذا الجرذ المسكين الذي أسرته المنايا وصرعه العطب، وفي البيت الثاني ما يعجب من أمر هذا الكناني وهذا العامري اللذين تعاونا على رمي الجرذ وتلاه للوجه، كما يفعل العرب البواسل، وفي هذين البيتين تنتهي القصة ظريفة سريعة ومضحكة بما فيها من رثاء مصنوع وإعجاب متكلف، ولكن شاعرنا الصبي لا يكتفي بالقصة وإنما يريد أن يستغلها ويستثمرها ويستخرج منها الذخائر والكنوز، فهو يحقق أن كلا الرجلين قتل الجرذ، فهل كانت للجرذ درع؟ وهل كان له سيف ورمح؟ وهل كانت له بيضة ودرقة؟ وهل كان يحمل ذهبا وفضة ومتاعا؟ كل هذه الصور يثيرها الشطر الأخير من البيت الثالث، ثم أنظر إلى هذا البيت الأخير.[1]

وَأيُّكُما كانَ مِن خَلفِــهِ فإنَّ بهِ عَضَّةً في الذَنــب[2]

فلن ترى سخرية ألذع من هذه السخرية ولا هجاء أمض من هذا الهجاء، ولن ترى أشد من هذا الازدراء للحضريين من أهل الكوفة المعاصرين له، الذين استسلموا واستكانوا وقنعوا من الشجاعة والنجدة، ومن المخاطرة وحسن البلاء، بأن يتعاون اثنان منهم على قتل جرذ، ثم يظهران ذلك للناس إعجابا به واحتيالا.[3]

كما نجده يسخر من رجل يدعى" القاضي الذهبي " بقوله:

لمّا نسِبتَ فكُنتَ ابناً لغيِــر أبٍ ثُمَّ امتحِنــتَ فَلم ترجِــع إلى أدَبِ

سمِيتَ بالذهبي اليومَ تسمِيـــةً مُشتَقَّةً مِن ذهابِ العَقلِ لا الذَهَبِ

مُلقَّب بكَ ما لقّبت وَيـــكَ بــهِ يا أيها اللقَبُ المُلقى عَلى اللَقَــبِ[4]

ويقصد بذلك أنه: لما لم يكن لك أب تعرف به ولا أدب ترجع إليه سميت بالذهبي نسبة محدثة لك، لم تكن لك موروثة، فقيل لك الذهبي، لذهاب عقلك، لا لأنك منسوب إلى الذهب كما يقول: لقبك يكرهك استصغارا لك واحتقارا، فكأنه هو الملقب ولست أنت الملقب به، لبغضه

[1]- طه حسين: مع المتنبي، ص 35.

[2]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص13.

[3]- طه حسين: مع المتنبي، ص35.

[4]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 13.

لك[1]، وهنا نجد المتنبي ينتقد واقعه ويسخر من حكام زمانه، بحيث يصور لنا إعجابه بنفسه وسخطه على الناس في هذه الأبيات:

أذمُّ إلى هَذا الزمانِ أهَيلـــهُ فأعلمُهُم فدم وَأحزمُهُـــم وَغـــــدُ

وَأكرمُهُم كَلب وَأبصَرهُم عَمٍ وَأسهَدُهُم فهد وَأشجَعهُـــــم قــردُ

وَمِن نَكَدِ الدُنيا عَلى الحـــرِ أن يَرى عَدُاواً لهُ ما مِن صَداقتهِ بدّ[2]

فلا يمكن له أن يسمح لنفسه، بأن يصبح من "أهيل زمانه " وينحدر إلى مستواهم ميوعة، وتَخنثا فهو في نكد ومغالبة، ومعاناة مريرة مع ناس عصره.

وقد كان وفعلا كما ينعتهم فهو يتردى في مستنقع الهوان والذل كما يتردون... وتبرز الخمرة في لا وعيه، سبيلا مغريا إلى التردي والسقوط.. فليتماسك ولينأ عن الخمرة ما استطاع، فالمتنبي حيال الخمرة يسجل موقفا...ويستعمل منطقا جدليا تبريريا، لا يمكنه أن يضاد نفسه وطبعه، وفهمه للحياة... لا يمكنه أن ينقلب من ساخر بهذه القيم الحضارية الممسوخة، إلى موضوع سخرية، ومحط ازدراء إذاسمح لنفسه بمعاقرة الخمرة.[3]

السخرية من الخليفة سيف الدولة الحمداني:

كما نجده يسخر من الخليفة بقوله:

فيا عَجَباً مِن دائلٍ أنتَ سَيفُـهُ أما يَتَوَقى شَفرتَي ما تَقَلـــــــدا

وَمَن يَجعَلِ الضِرغامَ بازاً لصَيدِهِ تصَيدَهُ الضِرغامُ فيما تصَيَّـــــدا

رأيتكَ مَحضَ الحلمِ في مَـــح وَلو شِئتَ كانَ الحلمُ مِنكَ المهَنَّدا

وَما قتلَ الأحرارَ كَالعَفوِ عَنـــهُ وَمَن لكَ بِالحرِ الذي يَحفَظُ اليَـدا

إذا أنتَ أكرمتَ الكَريمَ مَلكتهُ وَمَن لكَ بِالحرِ الذي يَحفَظُ اليَـدا

[1] – أبو البقاء العكبري: شرح ديوان المتنبي، ص 218.

[2] – أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص198.

[3] – خليل شرف الدين: المتنبي أمة في رجل، ص 87-89.

وَوَضعُ الندى في مَوضِعِ السَيفِ بِالعلا مُضِرٌّ كَوَضعِ السَيفِ في مَوضِعِ الندى[1]

واضح أنه يسخر من الخليفة الذي يحمل سيفا يوشك أن يقتله ... ويرسل للصيد جارحا يوشك أن يصطاده..كما يغري سيف الدولة بأولائك المتمردين الذين عفا عنهم فأبطرهم العفو، واصطنع معهم الحلم فظنوه عجزا.[2]

مما يعني أن الكريم يعرف قدر الكرام فيصبر كالمملوك لك إذا أكرمته، واللئيم إذا أكرمته يزيد عتوا، وجرأة عليك، فكل يجازى ويعامل على ما يستحق، فمن استحق العطاء لم يستعمل معه السيف ومن استحق القتل لم يكرم بالعطاء، ومن فعل ذلك أضر بعلاه.[3]

وتستمر سخريته من الملوك والحكام ويظهر ذلك في هذا البيت الآتي:

أرانبُ غَيرَ أنهُمُ مُلـــوك مُفَتحَة عيونهُمُ نيـــامُ[4]

والمعهود في هذا أن يقال: هم ملوك إلا أنهم في طبع الأرانب، لكنه عكس الكلام مبالغة فجعل الأرانب حقيقة لهم، والملك مستعار فيهم.

ويقول: هم وإن تفتحت عيونهم نيام من حيث الغفلة كالأرانب، تنام مفتحة العينين[5].

هجاء إسحاق ابن كيغلغ:

وها هو يهجو إسحاق بن كيغلغ ويسخر منه في قصيدة كريشة في مهب الريح:

قالوا لنا ماتَ إسحاقُ فَقُلتُ لَهم هَذا الدَواءُ الذي يشفي مِنَ الحمُـقِ

إن ماتَ ماتَ بلا فقدٍ ولا أسَـفٍ أو عاشَ عاشَ بلا خَلقٍ ولا خُلـــقِ

مِنهُ تَعَلمَ عَبد شَقَّ هامَتـــــــهُ خَونَ الصَديقِ وَدَسَّ الغدرِ في المَلقِ

وحَلفَ ألفِ يَمينٍ غَيرَ صادِقـــةٍ مَطرودَةٍ كَكُعوبِ الرمحِ في نسَـــقِ

---

[1]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 372.

[2]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص103.

[3]- ياسين الأيوبي: المتنبي في عيون قصائده، ص 329-328.

[4]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص101.

[5]- المصدر نفسه، ص146.

ما زلتُ أعرفهُ قرداً بلا ذَنبٍ صِفراً مِنَ البأسِ مَملوءا مِنَ النَزقِ[1]

والمعنى من ذلك أنه لا دواء للأحمق إلا الموت فحياته وموته سواء، فإن مات فلا يحزن على فقده أحد وإن عاش فليس له خلق حسن، ولا صورة جميلة، وأن العبد الذي قتله وغدر به منه تعلم الغدر، وإظهار المحبة، وفي قلبه الخبث، فقد تعلم منه أن يحلف أي يمين كاذبة مطرودة،كأنابيب الرمح ويقول: ما أنكره ولم أزل أعرفه، وهو في صورة القرد، إلا أنه ليس له ذنب كذنب القرد، جبانا فارغا من الشجاعة إلا أنه قد امتلَ من الحماقة والطيش.[2]

هجاء ضبة بن يزيد الأسدي وأمه:

ونجده يهجو ضبة ويسخر منه في قصيدته ما أنصف القوم ضبة:

ما أنصَفَ القَومُ ضَبَّه وَأَمَّهُ الطرطبه[3]

والمعنى من ذلك أنه لم ينصفوه إذ فعلوا بأبيه وأمه ما فعلوه[4]

وَإِنَّما قلتُ ما قلتُ رحمةً لا مَحبه[5]

والمقصود من هذا، إنما قلت ما أنصفوه: رحمة لك بما فعل لا محبة[6]

وحيلةً لكَ حَتى عذِرتَ لو كُنتَ تيبــه[7]

أي احتيالا لك حتى تعذر فيما أصابك، لو كنت تشعر، وتأبه (تيبه) من قولهم: ما وبهت له أي: ما باليته وما شعرت به.[8]

وَما عَليكَ مِنَ القَتلِ إِنَّما هِيَ ضَربه

---

[1] – المتنبي ــ ديوانه ــ ص 234

[2] – أبو البقاء العكبري، شرح ديوان المتنبي، ص 310

[3] – المتنبي ــ ديوانه ــ ص 274

[4] – المرجع السابق، ص 310

[5] – المتنبي ــ ديوانه ــ ص 274

[6] – المرجع السابق، ص 310

[7] – المتنبي ــ ديوانه ــ ص 274

[8] – المرجع السابق، ص 310

وَما عَليكَ مِنَ الغدرِ إنَّما هُوَ سُبـــه[1]

هذا استهزاء به واستجهال له، يقول: لا يلزمك من قتل أبيك عار، إنما ذلك ضربة وقعت بأبيك فمات منها، والغدر سبة تسب به، فما عليك منه.[2]

يا قاتلاً كُلَّ ضَيفٍ غَناهُ ضَيح وَعلبه[3]

والمعنى: يقول ابن جني: إذا نزل بك ضيف ضعيف، قتلته وأخذت ما معه، فكيف تفعل بالأغنياء؟[4]

وقال ابن فروجة: ليس في البيت ما يدل على أنه يأخذ ما معه، ولوكان المراد أخذ ما معه لسلبه دون أن يقتله ومعنى ذلك أنه بخيل يقتل الضيف القليل المؤونة لئلا يحتاج إلى قراه، وهذا على ما قاله ابن فروجة، لأنه يصفه بالغدر يريد أن يقتل ضيفا شبعه قليل ضيح، في علبة، لئلا يحتاج إلى سقيه ذلك القدر[5].

وخَوفُ كُـــلِ رفيـــقٍ أباتكَ الليلُ جَنبه

كَذا خُلقتَ وَمَن ذا ال ذي يغالبُ ربـــه[6]

والمعنى: يقول أنت خوف كل رفيق جاء به الليل إلى بيتك فأنت تقتله غدرا وبخلا أن يأكل من ضيحك لأنك طبعت على الغدر فما هو شيء تكلفه أي لا سبيل إلى تغيير ما فطره الله عليه.[7]

وَمَن يبالـــي بـــذَم إذا تَعَوَّدَ كَسبـــه

فسَل فؤادَكَ يا ضَب ب أينَ خَلفَ عجبه

وَإن يَخنكَ لعَمري لطالما خانَ صَحبه[8]

---

[1] – أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 574.

[2] – ياسين الأيوبي: المتنبي في عيون قصائده، ص 467.

[3] – أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 574.

[4] – المرجع السابق، ص 467.

[5] – أبو البقاء العكبري: شرح ديوان المتنبي، (ج1)، ص 207.

[6] – أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 574.

[7] – المرجع نفسه، ص207.

[8] – أبو الطيب المتنبي: ديوانه المتنبي، ص 575.

يقول لضبة: سل قلبك أين ترك ما كان فيه من العجب والإعجاب؟ يعني حين إنجحر عنه وعن أصحابه، وتحصن. وهم يواجهونه بالشتم والقبيح من القول، ويقول: إن خانك العجب، فكثير من المعجبين بأنفسهم، لم يبق معهم العجب وأذلهم الزمان.[1]

وَكَيفَ ترغَبُ فيهِ وَقد تَبينتَ رعبه

ما كُنتَ إلا ذباباً نفَتكَ عَنا مِذَبّه[2]

أي كيف تريد العجب وقد علمت شؤمه، وكنت كالذباب، نفتك المذبة عن العجب.

وقال ابن جني: أي بقيت بلا قلب وقال ابن فروجة: ظن أن الهاء، راجعة إلى "القلب" وذلك باطل، فالهاء راجعة إلى العجب.[3]

وَإن بعدنا قليـــلاً حَملتَ رمحاً وحَربه

وَقلتَ ليتَ بكَفّي عِنانَ جَرداءَ شَطبه[4]

أي إذا رحلنا عنك، وعاودك العجب، وحملت السلاح[5]

إن أوحَشَتكَ المعالي فإنَّها دارُ غربـــــه

أو آنسَتكَ المخازي فإنَّها لكَ نسبـــــه

وَإن عَرفتَ مُرادي تكَشَّفَت عَنكَ كُربه[6]

قال ابن جني: أنت مع ما أوضحته من هجائك غير عارف لجهلك، فإذا عرفت أنه هجاء، زالت عنك كربة لمعرفتك إياه، وهذا كلام من لم يعرف معنى البيت، وليس المراد ما ذكر ولكنه يقول:

[1]- ياسين الأيوبي: المتنبي في عيون قصائده، ص 769.

[2]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص575.

[3]- المرجع نفسه، ص470.

[4]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 575.

[5]- أبو البقاء العكبري: شرح ديوان المتنبي، (ج1)، ص 209.

[6]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 576.

مرادي أن أذكر ما فيك من البخل والغدر، فإن عرفت مرادي سررت بما قلته، لأنه لا يقصدك آخر بعد ما بينت من صفاتك، بسؤال ولا طلب قرى.[1]

وَإن جَهِلتَ مُرادي فإنهُ بكَ أشبه[2]

يقول: وإن جهلت مرادي، فالجهل أشبه بك وأليق بحالك لأنك لست ممن يفهمون المعنى: يقول: الجهل يحكم عليك، وهو أليق بك[3]، وقال يهجو كافور:

أتَوَكَ مِن عَبدٍ وَمِن عِرسِهِ مَن حَكَّمَ العَبدَ عَلى نفسِهِ

وَإنَّما يظهِـــرُ تَحكيمُــهُ تَحَكُّمَ الإفسادِ في حِسِـــهِ[4]

ومعنى ذلك: إن الذي يجعل العبد حاكما على نفسه أحمق من العبد ومن عرس نفسه يعني المرأة: أي أحمق من المرأة ومن العبد، من يكون في طاعة العبد، يجوز أن يكون الضمير في عرسه للعبد، ويريد به الأمة لأن العبد يتزوج الأمة غالب الأحوال: أي من حكم العبد على نفسه فهو أحمق من العبد، ومن الأمة، وهذا عتاب يعاتب به نفسه حين قصد كافور واحتاج إلى أن يطيعه فيما يحكم به فيقول: إن من أظهر تحكيم العبد عليه، فهو قليل الرأي، وناقص العقل وهو ذليل على سوء اختياره، وفساد حسه[5]، ثم يقول:

ما مَن يرى أنكَ في وَعــدِهِ كَمَن يرى أنكَ في حَبسِـــهِ

لا ينجِزُ الميعـــادَ في يومِهِ ولا يعي ما قالَ في أمسِـــهِ

فلا ت راجِ الخيرَ عِندَ امرئٍ مَرت يدُ الن اخاسِ في رأسِهِ[6]

---

[1]- ياسين الأيوبي، المتنبي في عيون قصائده، ص 471.

[2]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 576.

[3]- أبو البقاء العكبري، شرح ديوان المتنبي ، ج2، ص 204.

[4]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 504.

[5]- أبو البقاء العكبري: شرح ديوان المتنبي، ج2، ص 204.

[6]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 504.

فهو يخاطب نفسه هنا ويقول لها: أنت في حبس كافور لأن من تكون في وعده يحسن إليك ويبرك، ومن يرى أنك محبوس عنده يذلك.

وقال الخطيب: إنما أراد أن العبد جاهل بحق مثله، فهو يرى أنه في حبسه فليس له منه مخلص، فما يبالي به، والحر الكريم يري أنك في وعده فهو يضمن الإنجاز فيما وعد.

كما يقول: أنه لا ينجز ما وعد في يوم انقضاء الوعد، ولا يعي: أي لا يحفظ ما قاله بالأمس يعني: أنه لغفلته وسوء فطنته لا يعي ما يقوله.

ويقول لا يأتي بطبعه مكرمة، ولا يفعل خيرا إلا أن تحتال على جذبه إليها، كما تجذب السفينة بالحبل لتجري، وهو معنى حسن، يريد أنه يجر إلى فعل الخير بقوة وصعوبة، كما تجر السفينة من الانحدار إلى الإصعاد، وهو ضد عادتها لأنها تطلب جريان الماء، لتنحدر معه سريعة وإذا جذبت إلى الإصعاد أتعبت الجاذب لها، وكذا كافور قد تعود البخل والتزم،فإذا جذب إلى فعل الخير صعب عليه لأنه غير عادته[1]، ويقول أيضا:

وَإن عَراكَ الشَكُّ في نفسِهِ بِحالهِ فانظر إلى جِنسِـــهِ

فَقَلمـــا يلـــؤُمُ في ثوبــهِ إلا الذي يلؤُمُ في غِرسِـــهِ

من وجَدَ المذهَبَ عَن قدرهِ لَم يجد المذهَبَ عَن قنسِهِ[2]

ويقصد من ذلك أنه إن شككت في حاله ولم تعرفه، فانظر إلى العبيد الذين من جنسه فإنهم ليس لهم مروءة ولا كرم ولا عقل، ويردي بحاله مضافا ومنونا، أي أنه طبع عند الولادة على البخل، ومن كان لئيما في كبره فإنما كان لئيما عند ولادته فهو مطبوع على اللؤم، فالأشياء ترجع إلى أصولها وإلى أوائلها، فمن أوتى ملكا أو ولاية أو مالا وقدرة لا يستحق لم يذهب عن أصله، ولم يرفعه ذلك عن لؤم الأصل فمن كان لئيم الأصل فهو ينزع إلى ذلك اللؤم، ولو أوتى كنوز قارون.[3]

وقال يهجو وردان بن ربيعة الطائي، وقد كان أفسد عليه غلمان عند من صرفه من مصر

[1]- أبو البقاء العكبري: شرح ديوان المتنبي، ص 204.

[2]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 504.

[3]- أبو البقاء العكبري، شرح ديوان المتنبي، ص 205.

لَحـــا اللَّهُ وَرداناً وَأماً أتت بهِ لهُ كَسبُ خِنزيرٍ وخُرطومُ ثعلـــبِ
فما كانَ فيهِ الغدرُ إالا دَلالـــةً عَلى أنهُ فيـــــهِ مِنَ الأم وَالأبِ
إذا كَسَبَ الإنسانُ مِن هَنِ عِرسِهِ فيا لؤمَ إنسانٍ وَيا لؤمَ مَكسَـــبِ
أهَذا اللذَايا بنـــتُ وَردانَ بنتـــهُ هُما الطالبانِ الرزقَ مِن شَرِ مَطلبِ[1]

المعنى: أن بنات وردان، هي الدود، تأكل العذرة، فلا تفاق الاسمين جعله كالخنزير، لأنه تأكل العذرة، وجعل له خرطوم، لأنه كبير الأنف والفم، ناتئ الوجه، فوجهه كخرطوم الثعلب. ويقول غدره بي دلالة على أن أمه غدرت بأبيه، فجاءت به لغير رشده هذا قول أبي الفتح والخطيب.

وقال الواحدي: غدره بي دلالة على أنه ورث الغدر من أمه وأبيه، يعني أنهما كانا غادرين، والغدر موروث له لا عن كلالة، فقد جعله يأكل عن خدر امرأته، وأنه ديوث لا غيرة له، وأنه يقود إلى امرأته، وجعل ما يؤتى كسبا له فيقول تجاهلا واستهزاء: أهذا الذي تنسب إليه هذه الدودة الذميمة الحقيرة، لأنها هي وهو يطلبان الرزق من شر المطلب هي تطلبه من الحشوش، وهو يطلبه من عرضه، وهو محل النجس ومنه يخرج النجس، فكلاهما يطلب من جهة خبيثة.[2]

وقال في صبـــاه لرجـــل بلغه عن قوم كلامـــــا
أنا عَينُ المسَوَّدِ الجحجاحِ هَيجَتني كلابُكُم بِالنبـــاحِ
أيكونُ الهجانُ غَيرَ هِجانٍ أم يكونُ الصُراحُ غَيرَ صُراحِ
جَهِلوني وَإن عَمَرتُ قليلاً نسَبتني لَهم رؤوسُ الرمـــاحِ[3]

المعنى: أثارتني سفهاؤكم وأغضبتني، ولما سماهم كلابا سمى كلامهم نباحا ويروي: هجتني، من الهجنة أي نسبتني إلى الهجنة ويقول الكريم النسب لا يكون غير كريم النسب، وغير خالص النسب، يريد بذلك أن هجوا الهاجي لا يؤثر فيه لأنه ذكر في البيت الأول شكواه من السفهاء واللئام وذكر

[1]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 506.
[2]- أبو البقاء العكبري: شرح ديوان المتنبي، ص 119-120.
[3]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 504.

في البيت أن سفههم وبهمهم لا يقدح في نفسه ولا يغيره ويريد بهذا التهديد لهم، بقوله: هم جهلوني وجهلوا قدري وأصلي فإن عشت لهم عرفتني لهم الرماح، أي الرماح تعرفهم نسبي[1].

ولم تقف سخرية اللغة المجازية في الكافوريات عند حد الخلقة الجسدية، بل تجاوزها إلى المستوى الخلقي، حيث صور المتنبي لؤم ودناءة كافور انطلاقا من إدراجه ضمن فصيلة الكلاب، فقد كنى المتنبي كافور بابن آوى الذي يضرب به المثل في الخسة واللؤم وقد صور المتنبي ذلك حينما أكد أن كافور من فرط خسته لا يستحق حتى الهجاء، وعبر عن ذلك قائلا:

وَلاما أن هَجَوتُ رأيتُ عِيًّا مَقالي لإبن آوى يا لئيمُ[2]

أما من فصيلة الطيور فلم يجد المتنبي فيها ما يشبه به كافور في سواده وشؤمه سوى الغراب، فيما شبه من حوله بالرخم والبوم وذلك بقوله:

حَصَلتُ بِأرضِ مِصرَ عَلى عَبيدٍ كَأنَّ الحرَّ بينَ هُمُ يتيـــمُ
كَأنَّ الأسوَدَ الأبـــيَّ فيهِـــم غراب حَولهُ رخَم وَبـــومُ
أخِذتُ بمدحِـــهِ فَرأيتُ لَهوًا مَقالي للأحيمِقِ يا حَليـــمُ[3]

وتستمر سخرية المتنبي من الحكام والملوك ونجد ذلك في قوله:

وَإنَّما الناسُ بِالمُلوكِ وَما تفلحُ عرب مُلوكُها عَجَمُ[4]

أي: الناس بالملوك يرتفعون، ونجد منهم ينالون الدرجة الرفيعة، والعرب إذا ملكتهم العجم لا يفلحون لما بينهما من التباين والتنافر واختلاف الطبائع واللغة[5]، ثم يبين هذا بقوله:

لا أدب عِندَهُم ولا حَسَب ولا عُهود لَهُم ولا ذِمَمُ
بكل أرضٍ وَطِئتها أمَـــــم ترعى لعَبدٍ كَأنَّها غَنـــمُ[6]

---

[1] – أبو البقاء العكبري، شرح ديوان المتنبي، ص 242-243.
[2] – أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 503.
[3] – المرجع نفسه، ص 93.
[4] – ياسين الأيوبي، المتنبي في عيون قصائده، ص 136.
[5] – المرجع نفسه، ص 503.
[6] – أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 93.

ويعني عبيد الخلفاء من الأتراك الذين كانوا يأمرون على الناس[1]، ونجده يسخر من كافور في هذا النوع من المديح المبطن بالهجاء بقوله:

تفضَحُ الشَمسَ كُلما ذَرتِ الشَم سُ بشَمسٍ مُنيرةٍ سَوداءِ

إنَّ في ثوبكَ الذي المَجدُ فيــهِ لضِياءً يزري بِكُ لِضِيـاءِ

مَن لبيضِ الملوكِ أن تبدِلَ اللونَ بلونِ الأستاذِ وَالسَحنـاءِ[2]

والمعنى: أنه في سواده مشرق، فهو بإشراقه في سواده يفضح الشمس ويجوز أنه يريد به شهرته وأنه أشهر من الشمس ذكرا، أو يريد نقاءه من العيوب، والإنارة تعود إلى أحد هذه المعنيين، أو يريد بالإنارة الشهرة، لأن المشهور منير، وقيل للمشهور منير وإن لم يكن ثم إنارة، وكذلك المنير نقي من الدرن فقيل للنقي من العيوب: منير ويدل عليه قوله في البيت الذي يليه: فقد أراد بإنارته ضياء المجد وشهرته، ونقاءه مما يعاب به وأن ذلك الضياء أتم من كل ضياء، وأن الملوك البيض الألوان يتمنون أن يبادلوا ألوانهم بلونك، وأن تكون هيئتهم كهيئتك.[3]

ولعل ما يؤكد أن المتنبي لم يكن صادقا –حقا– في هذا المدح قوله في كافور بعدما نفر عنه:

وَأسوَدُ مِشفَرهُ نصفُــــــــهُ يقالُ لهُ أنتَ بــدرُ الدُجى

ونجد أيضا قوله في سيف الدولة:

وجاهِلٍ مَدَّهُ في جَهلهِ ضَحِكي حَتى أتتهُ يد فَراسَة وَفمُ[4]

ومعناه رب جاهل خدعته مجاملتي، وتركته في جهله، ضحكي منه، حتى افترسته بعد زمان، يريد أنه يغضى على الجاهل إلى أن يجازيه ويهلكه[5]

وقوله في قصيدة يخلو من الهم أخلاهم من الفطن:

---

[1]– ياسين الأيوبي، المتنبي في عيون قصائده، ص 136.

[2]– أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 447.

[3]– ينظر: أبو البقاء العكبري، ص34.

[4]– أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص332.

[5]– ياسين الأيوبي المتنبي في عيون قصائده، ص 296.

حَولي بِكُل مَكانٍ مِنهُمُ خِلق تُخَطي إذا جِئتَ في استفهامِها بمنِ خلق[1]

جمع خلقة وهي الصورة، ويروى خلق: جمع خلقة من الناس، والمعنى أن "من" يستفهم بها عن من يعقل، وهؤلاء كالبهائم، وإذا استفهمت عنهم، فقل:"ما" أنتم ولا تقل "من" أنتم:[2]

لا أقتَري بلداً إلا عَلى غَرَرٍ ولا أمُرُّ بِخَلقٍ غَيرِ مُضطغنِ[3]

يقول: قروت البلاد واستقريتها وقريتها: إذا تتبعتها، تَخرج من بلد إلى بلد. ومضطغن: ذو ضغن وحقد، يقول: لا أسافر إلا على خطر وخوف على نفسي من الحساد والأعداء، ولا أمر بأحد لا يكون له علي حقد، يعني أنهم جهال أعداء لذوي الفضل والعلم، فلجهلهم وفضلي يعادونني:[4]

ولا أعاشِرُ مِن أملاكِهِم أحَداً إلا أحَقَّ بضَربِ الرأسِ مِن وَثنِ[5]

يقول: لا أخالط أحدا من ملوكهم إلا وهو يستحق القتل كالصنم الذي يستحق أن يكسر ويفصل بين رأسه وبدنه حتى لا يكون على خلقة الإنسان، ويجوز أن يكون "ضرب الرأس" كناية عن الإذلال. يقول: هو أحق بالإذلال من الوثن وإنما خص الوثن لأنه أراد أنه صورة لا معنى وراءه كالوثن الذي يفتن به قوم يعبدونه وهو تمثال لا معنى وراءه[6].

إني لَأعذِرهُم مما أعَنِّفُهُم حَتى أعَنفُ نفسي فيهِمِ وَأني[7]

---

[1]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 170.

[2]- المرجع السابق ص 201.

[3]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 170.

[4]- ياسين الأيوبي، المتنبي في عيون قصائده، ص 201.

[5]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 170.

[6]- المرجع نفسه، ص 201.

[7]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 170.

يقول: أجعل لهم عذرا فيما ألومهم به من الغفلة واللوم حتى أعود على نفسي باللوم وأقصر في لومهم وعذرهم أنهم جهال، والجاهل لا يلام على ترك المكارم والرغبة من المعالي[1]، وقد ذكر هذا فقال:

فقرُ الجهولِ بلا عقلٍ إلى أدَبٍ فقرُ الحمارِ بلا رأسٍ إلى رسَنِ[2]

أي أن أول ما يحتاج إليه الإنسان، العقل، والقلب الذي به يعقل، ثم يتأدب بعد ذلك فإذا لم يكن عاقلا لم يحتج إلى أدب، كالحمار إذا لم يكن له رأس لم يحتج إلى الرسن[3].

ونجد السخرية في قصيدته لا تقنع بما دون النجوم في قوله:

يرى الجبناءُ أنَّ العجزَ عَقل وَتلكَ خَديعَةُ الطبعِ اللئيمِ [4]

أي أن لؤم طبع الجبان يريه العجز في صورة العقل، حتى يظن أن عجزه وجريه على حكم الجبن عقل.[5]

وكُلُّ شَجاعَةٍ في المرءِ تغني ولا مِثلَ الشَجاعَةِ في الحَكيمِ[6]

يعني أن الشجاعة كيفما كانت وفيمن كانت مغنية كافية، وإذا كانت في الرجل الحكيم العاقل، كانت أتم وأحسن لانضمام العقل إليها، والمعنى: أن الشجاعة في غير الحكيم، ليست مثل الشجاعة في الحكيم.[7]

وقوله في قصيدة قبحا لوجهك يا زمان:

تصفو الحياةُ لِجاهِلٍ أو غافلٍ عَاما مَضى فيها وَما يتَوَقـــــعُ

وَلمَن يغالطُ في الحقائقِ نفسَهُ وَيسومُها طلبَ المحالِ فَتطمَعُ[8]

---

[1]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 201.

[2]- المصدر نفسه، ص 170.

[3]- المرجع السابق ص 201.

[4]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 232.

[5]- ياسين الأيوبي: المتنبي في عيون قصائده، ص 242.

[6]- أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ص 232.

[7]- المصدر نفسه، ص 242.

[8]- نفسه، ص 491.

والمعنى يقول: إن الحياة لا تصفو لمن يلحظ الدنيا بعين المعرفة ويتأملها تأمل الدراية، وإنما تصفو لجاهل لا يعرف عواقبها فيتوقعها أو لغافل لا يمثل صوارفها وتصاريفها ويتذكرها، فهي تصفو للعاقل عما مضى من حياته، وما يتوقع في العواقب من انقضاءها، أو حادث لا يطيق حمله، وإنما تصفو لمن يغالط فيها عقله، وتحسن عند من يكابر فيها نفسه ويسومها المحال فتركن إليه، أو يمنيها فتعتمد بآمالها عليه، ومعنى البيت: أن الدنيا على الحقيقة دار غرور وأخطار، والإنسان فيها على خطر عظيم، والحياة فانية فيها وإن طالت فمن غلط في هذا، ومنى نفسه السلامة والبقاء صفا عيشه حين ألقى عن نفسه الفكر في العواقب وكلف نفسه طلب المحال من البقاء في السلامة، مع نيل المراد وطمعت في ذلك نفسه[1].

[1]- أبو البقاء العكبري: شرح ديوان المتنبي، ص269.

خاتمـــة

كانت هذه الجولة البحثية في رحاب أشعار المتنبي الذي يمثل ظاهرة تزخر بفيض لا ينتهي من قضايا أدبية، ولغوية تظل جديدة، لا يماثله أحد بتفرده وتميزه، لقد كان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشيها، حذقها، وبلغ منهما شأوا بعيدا أعجب به من عاصره ومن جاء بعده، حتى قيل: لو لم يكن شاعرا لكان لغويّا.

لقد كان المتنبي شعلة من ذكاء وعظمة من فطنة وآية من عقل، وكانت نفسه ثائرة لا ترى لأحد فضلاً ولا تعترف بعظمة غير عظمتها. فمن يدرس نفسيه ويمحص آراءه يطلع من تصريحاته وتلميحاته على أن ليس هناك رجل يستحق المكانة العليا والزعامة الكبرى سواه.

التحم المتنبي بالمصير الإنساني ففكر وتأمل وناضل في زمن عربي انهارت فيه القيم، وانعكست فيه المفاهيم، وانقلبت المعايير، وغدت الفضيلة رذيلة، والرذيلة حسنة. وكان يصرخ صرخاته الإنسانية في جموع غافلة مستسلمة، يصرخ من أجل الثورة والعنف ليدفع الظلم ونبل الأهداف.

فقد غاضه من الناس قبولهم الضيم وعدم ردهم للظلم فهجاهم ألذع الهجاء واشتد حنقه على زمانه وخصال أمله وبعض حكامه وكان في كل ذلك يستخدم أسلوب السخرية والتهكم وأحيانا يرسم صورا كاريكاتورية لبعض من يهجوهم.

لهذا حري بنا في نهاية المطاف أن نقف وقفة قصيرة نوجز فيها أهم ما توصل إليه البحث من حقائق وما استخلصناه من نتائج في النقاط الآتية:

- إن السخرية كانت لسان المجتمع العربي في مواجهة الواقع وتناقضاته، خاصة مع تخال احتكاك العرب في حل قضايا المواطن العربي المثقل كاهله بالهموم والمعاناة وعليه يمكن القول: إن الأدب العربي ومنذ العصر الجاهلي كان حافلا بالسخرية وإن امتزجت بأغراض شعرية أخرى كالهجاء مثلا ولتصل مع بداية العصر العباسي أوج مراحل تطورها كفن قائم بذاته، وتصبح أسلوبا تعبيريا خاصا عن واقع الحياة والعلاقات البشرية آنذاك.

- مثلت السخرية الأداة التي استطاع بها الأدباء نقل أفكارهم بأبسط الطرق فجاءت أقلامهم عن سيف حاد يقطع رقاب الآلام والأحقاد والظلم فأصبحت بذلك مرهما لالتئام جراح المظلومين الذين يتجرعون كؤوس الألم، وبذلك استطاع المتنبي أن يمثل صورة الأمة وآلامها.

- السخرية مرتبطة بإبراز العيوب والكشف عن النقائص، وأنها فن يتميز بالغرابة والتعقيد.

- لم تقتصر السخرية في شعر المتنبي على اللهو والإضحاك بل جسدت الواقع الذي نشأ فيه الشاعر ومعاناته، فأصبحت بذلك في يده أداة للمقاومة والكفاح.

- أتاحت السخرية المتضمنة في شعر المتنبي تعرية الواقع الذي كان سائدا في المجتمع العباسي، إذ تمكن المتنبي من خلق سياق لنقد كل أسلوب منبوذ وفق حادثة أو قصة طريفة ليست هي الهدف بالدرجة الأولى، ولأنها الوعاء الكامل لذلك.

- النقد غير المباشر للمجتمع وأفراده، لتبدوا أكثر تأثيرا وإقناعا، وبذلك تصبح السخرية وسيلة تخفى المتنبي خلف ستارها للإيماء بما في جعبته من نقد سواء كان اجتماعي، ديني، سياسي للمجتمع، فقد استطاع المتنبي تتبع أحوال المجتمع وتصويره ضمن إطار متجانس من الفكاهة والسخرية، ناهيك عن أسلوبها الفني والأدبي، قصد نقد تلك الأحوال معبرا عن أرائه اتجاهها، وإصلاح المجتمع وتقويمه.

السخرية في شعر المتنبي متشعبة المقاصد والأهداف: فقد سخر من المسؤولين ليردهم إلى طريق الصواب، وسخر من الشعب ليوقظه، ومن ثم يدعوه لنهضة والتقدم، وسخر من نفسه عساه يستمر في طريقه نحو الإصلاح والتغيير.

قائمة المصادر

والمراجـــع

❖ قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج1، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.
- ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، د.حسني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط1، 1963م.
- ابن الرومي: ديوان ابن الرومي، شرح: أ. أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ج1، بيروت، ط3، 2003م.
- ابن طباطبة العلوي: عيار الشعر، تح: طه الحاجري ود.محمد زغلول سلام، شركة فن الطباعة مصر، 1956.
- ابن منظور: لسان العرب، ج1، دار المعارف، القاهرة، ط 6، 1989م.
- أبو هلال العسكري: الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم،المكتبة العصرية، بيروت، ب.ط، 1986م.
- إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة بيروت، لبنان، 1971م.
- أحمد شوقي، الشوقيات، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية، القاهرة، ط2، 2012م.
- إسماعيل بن حماد الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط3، 1404هـ، 1984م.
- أصف درباتي، السخرية في شعر مدين محمد، دار الجينان للنشر والتوزيع، 2016.
- جابر أحمد عصفور: مفهوم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
- جابر عصفور: عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو، دار الأفاق العربية، بغداد، 1985م.
- جرير: ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1986م.
- حافظ إبراهيم: ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وصححه وشرحه أحمد أمين؛ أحمد الزين؛ إبراهيم الأبيار، الهيئة المصرية للكتاب، ط3، 89131987م.
- حافظ محمد الشمري: مواقف ودراسات نقدية في الأدب العربي قديما وحديثا، مركز الكتاب الأكاديمي ط1، 2016م.
- حامد عبد الهوال: السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982.

- حمد العبد: المفارقة القرآنية:دراسة في بنية الدلالة، ط1، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، 1415هـ-1994م.

- حميد رضى: الخطاب الشعري من اللغوي إلى التشكيل البصري، مجلة فصول الهيئة المصرية للكتاب، مج 15، عدد 02، 1996.

- خضرة ناصف: السخرية في النثر الأندلسي، رسالة التوابع والمواقع لأبن شهيد الأندلسي-أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم.جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، إشراف مصطفى البشير قط، 2017م-2018م.

- الخليل بن أحمد الفراهدي: كتاب العين، تح: د.عبد الحميد همداوي، ج 2، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ط1، 1424هـ-2003م.

- خليل شرف الدين: المتنبي أمة في رجل، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1992م.

- خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات العامة، دار هومة، الجزائر، 2000م.

- د. محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول ،مكتبة الأدب المغربي، إفريقيا الشرق، المغرب الدار البيضاء، ط2، 2012م.

- د.جميل صليبيا: المعجم الفلسفي،دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1982م.

- رابح بوحوش: المناهج النقدية وخصائص الخطاب السردي، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة الجزائر، د.ط، د.ت.

- رمضان الصباغ: في نقد الشعر العربي المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، (ب.ط)، (ب.س).

- سالم بن محمد بن سالم بالمؤمن: السخرية في الشعر الأموي،رسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة دكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب، جامعة الملك سعود، 2016.

- سامية مشتوب: السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، إشراف: رشيد بن مالك، 2011م.

- سراج الدين محمد: موسوعة المبدعون النوادر والطرائف الفكاهة في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية.بيروت لبنان، 2017.

- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1489هـ.

- الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضلة،القاهرة، 2004م.
- ضابط الحربية: ديوان حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي، مطبعة السعادة بجوار محافظة، مصر، د.ط.
- عبد التواب محمود عبد اللطيف: المفارقة في المسرح الشعري في مصر في الربع الأخير من القرن العشرين، المنهل، 2014.
- عبد الحليم حفني: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978.
- عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط3.
- عبد العزيز بشرى: السخرية في الأدب العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2002م.
- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، شرح وتحقيق محمد التنجي، دار الكتاب العربي بيروت، ط3، 1999.
- عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية مركبة لراوية زقاق المدق، سلسلة المعرفة ديوان المطبوعات الجامعية ابن عكنون، الجزائر، 1995.
- عصام خلف: مفهوم الخطاب في الدراسات الأدبية واللغوية المعاصرة، دار فرحة للنشر والتوزيع، مصر، د.ط، د.ت.
- فتحي أحمد عامر: من قضايا التراث العربي منشأة المعارف بالإسكندرية، ب.ط، ب.ت.
- قاسم مومني: الشعر في القرن الرابع هجري، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1982م.
- قدامة ابن جعفر: نقد الشعر، تح: عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، (ب.ط)، (ب.س).
- المتوكل طه: حدائق إبراهيم أوراق إبراهيم طوقان ورسائله ودراسات في شعره، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، ط1، 2004.
- مجدي وهيبة: كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط1، 1989م.
- مجدي وهيبة: معجم مصطلحات اللغة والأدب، مكتبة لبنان ط2، 1984.

- مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية مصر، إشراف: إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية صوالحي، عطية خلف الله أحمد، 1425هـ.2004م.
- محمد أمين طه: السخرية في الأدب العربي، دار التوفيقية للطباعة بالأزهر، مصر، ط1، 1979م.
- محمد حسين: الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970م.
- محمد صالح زكي أبو حميدة: الخطاب الشعري عند محمود درويش، دراسة أسلوبية كلية الآداب جامعة الأزهر، غزة، ب.ط، 2000.
- محمد كواكبي: خصائص الخطاب الشعري في ديوان أبي فراس الحمداني، دار هومة، الجزائر، د.ط، 2003.
- محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروسة من جواهر القاموس، جزء12، تحقيق مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، 1973م.
- مصطفى الجوزو: نظريات الشعر عند العرب (الجاهلية والعصور الإسلامية)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1988م.
- مقال عبد الكريم البوغيش: السخرية في شعر محمد الجواهري، جامعة الإسلامية فرع علوم وتحقيقات، طهران إيران، 2010م.
- ناصيف اليازجي: ديوان المتنبي، ج1، دار نظير عبدو، ط2، 1416هـ-1996م.
- نبيل راغب: الأدب الساخر، النسخة المطبوعة مكتبة الأسرة، ط1، 2000.
- نزار عبد الله خليل الضمور: السخرية والفكاهة في النثر العباسي، ط1، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان، 1433هـ-2012م.
- نعمان محمد أمين طه: السخرية في الأدب العربي حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، دار التوفيقية للطباعة بالأزهر، مصر، ط1، 1398هـ،1978م.
- نعمان محمد أمين طه: السخرية في الأدب العربي حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، دار التوفيقية للطباعة بالأزهر، مصر، ط1، 1398هـ-1978م.
- نعمان محمد أمين طه: السخرية في الأدب العربي، دار التوفيقية للطباعة بالأزهر، مصر، ط1، 1398هـ،1978م.

- نـوال بـن صـالح: جماليـات المفارقـة في الشـعر العـربي المعاصر،دراسـة نقديـة في تجربـة محمـود رويش،المنهل، 2016م.
- نـور الـدين السـد: الأسـلوبية وتحليـل الخطـاب، دراسـة في النقـد العـربي الحـديث، تحليـل الخطـاب الشعري والسردي، دار هومة للنشر والتوزيع الجزائر، د.ط، 1997م.
- ياسين الأيوبي: المتنبي في عيون قصائده، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2002 م.
- يوسف البديعي: الصبح المنبي في حيثية المتنبي، دار المعارف، مصر القاهرة، 1963.

المذكرات والمجلات والمواقع:

- السنوسي سميرة، بلاغة السخرية في المثل الشعبي المغربي مجلة فكر ونقد، الرباط، 2001.
- مشـتوب سـامية، السـخرية وتجلياتهـا الدلاليـة في القصـة الجزائريـة المعاصـرة، مـذكرة لنيـل شـهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي، تخصص تحليل الخطاب جامعة مولود معمري تيزي وزو.
- سـالم بـن محمـد بـن سـالم بـالمؤمن السـخرية في الشـعر الأموي،رسـالة اسـتكمالا لمتطلبـات الحصـول على درجة دكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب.جامعة الملك سعود، سنة 2016.
- خضرة ناصف،السخرية في النثر الأندلسي،رسالة التوابع والمواقع لأبن شهيد الأندلسي-أنموذجا- أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم.جامعة محمد بوضياف بالمسيلة إشراف مصطفى البشير قط 2017-2018.
- سخرية المقموع، مقال منشور، بمجلة العربي ع406 مارس 2009.
- مقـال عبـد الكـريم البـوغيش، السـخرية في شـعر محمـد الجـواهري، جامعـة الإسـلامية فـرع علـوم وتحقيقات، طهران إيران ،2010.
- وسام مصلح.مدونة شغف القراءة، 2018/02/12
- عبد الحميد العرباوي، حول الأدب الساخر، منتديات ميازه نوفمبر 2005،
- www.triicdlcula net.
- سـراج الـدين محمـد ،موسـوعة المبـدعون النـوادر والطرائـف الفكاهـة في الشـعر العـربي، دار الراتـب الجامعية.بيروت لبنان 2017.

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة .....أ

مدخل: ماهية الخطاب الشعري

مفهوم الخطاب (لغة واصطلاحا) 05

مفهوم الشعر (لغة واصطلاحا) 08

ماهية الخطاب الشعري.....13

الفصل الأول: السخرية الماهية والدواعي

مفهوم السخرية (لغة واصطلاحا) 16

أسباب اللجوء للسخرية.....20

علاقة السخرية بالمصطلحات المشابهة.....22

أساليب السخرية.....29

السخرية في القرآن الكريم.....31

السخرية عبر العصور 33

الفصل الثاني: سخرية الخطاب الشعري عند المتنبي

التعريف بأبي الطيب المتنبي 45

تجليات السخرية في ديوان المتنبي 46

كافور الإخشيدي وأتباعه.....48

السخرية من الخليفة سيف الدولة الحمداني 55

هجاء إسحاق ابن كيغلغ.....56

هجاء ضبة بن يزيد الأسدي وقومه.....57

خاتمة **69**

المصادر والمراجع **72**

فهرس الموضوعات.....**78**

الملخص

ملخص الدراسة:

للمتنبي وجه آخر في الشعر قل نظيره بين الشعراء ألا وهو السخرية،حيث كان بارعا في السخرية براعة لم يبلغها أي شاعر غيره.عظيم شأن شعرنا العربي، إنه دنيا واسعة من تفاصيل الدنيا، ومرآة صادقة، تعكس كل ما يلامس بؤرتها، فيه من السعادة والبؤس واليقين والحيرة والحماسة والعجز مثل ما في الحياة من هذه الأحاسيس المختلفة، ولذا لم يكن ليتسع لكل هذه المشاعر الإنسانية المتداخلة، ويضيق بالسخرية، وهي إحدى وسائل البوح لدى النفس البشرية.

ويلحظ في هذا الفن الشعري أنه يستعمل أسلوبه مؤازرة لأغراض متنوعة، فمثلا قد يستغله الشاعر لبث الحماسة في قلوب قومه، وتحريضهم على استرداد حقوقهم بالقوة والشجاعة، كما يبدو جليا في دواوينه.

Résumé de l'étude:

Al-Mustanabbî a un autre visage dans la poésie dont la contrepartie est moins parmi les poètes, qui est le sarcasme, car il était doué pour le sarcasme avec une virtuosité qu'aucun autre poète ne pouvait atteindre.

Aussi grande que soit notre poésie arabe, c'est un vaste monde des détails du monde, et un miroir sincère, qui reflète tout ce qui touche son objectif, en lui du bonheur, de la misère, de la certitude, de la confusion, de l'enthousiasme et de l'impuissance comme ce qui est dans la vie de ces différents sentiments, et par conséquent, il ne s'adapterait pas à tous ces sentiments humains interconnectés, et étroit avec l'ironie , Et c'est l'une des révélations de l'âme humaine.

On remarque dans cet art poétique qu'il utilise sa méthode en synergie à des fins diverses, par exemple le poète peut l'exploiter pour insuffler l'enthousiasme dans le cœur de son peuple, et pour l'inciter à recouvrer ses droits par la force et le courage, comme le montrent ses collections.

Study summary:

Al-Mutanabbi has another face in poetry whose counterpart is less among the poets, which is sarcasm, as he was skilled at sarcasm with a virtuosity that no other poet could attain.

Great as our Arabic poetry is, it is a vast world of the details of the world, and a sincere mirror, which reflects everything that touches its focus, in it of happiness, misery, certainty, confusion, enthusiasm, and helplessness like what is in life of these different feelings, and therefore it would not accommodate all these interconnected human feelings, and narrow with irony, And it is one of the revelations of the human soul.

It is noticeable in this poetic art that he uses his method in synergy for various purposes, for example the poet may exploit him to instill enthusiasm in the hearts of his people, and to incite them to recover their rights by force and courage, as is evident in his collections.